الهيكل اللطيف

في مدح حلية الجسم الشريف

قصيدة في الشمائل المحمدية للشاعر الأديب الكبير

محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد
ابن إسحاق الحسني الصنعاني (١٢٦٦هـ)

تحقيق وتعليق

أحمد بن عباس بن محمد المساح

الهيكل اللطيف

في مدح حلية الجسم الشريف

قصيدة في الشمائل المحمدية

للشاعر الأديب الكبير

العلامة محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق

الحسني الصنعاني (١٢٦٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

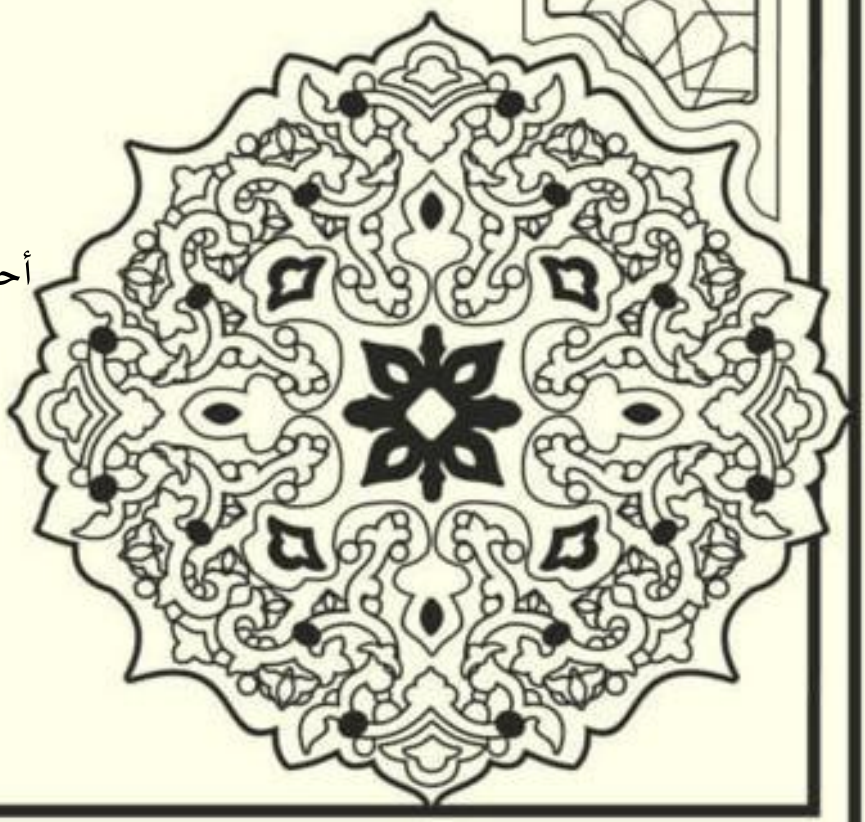

تحقيق وتعليق

أحمد بن عباس بن محمد المساح

ح أحمدعباس محمد المساح، ١٤٤٧هـ

إسحاق، محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف.

/ محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق؛

المساح ، أحمد عباس محمد – ط ١. .- جدة ، ١٤٤٧هـ

٧٣ ص ؛ ....سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/١٥٨٩٠

ردمك:٣-٥٣١٣-٠٦-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي القصيدة

قال العلامة أحمد بن يوسف زبارة(ت ١٢٥٢هـ) رحمه الله:

في طرفة الهيكل اللطيفِ وحلية الجوهر الزَّفيفِ
الحظْ بعينيك منه حسناً سناه كالنَّيِّر الرفوفِ
أرقُّ في اللطف من نسيمٍ مرَّت على وامقٍ طريفِ
شمائلٌ للقلوب فيها فعلٌ كمشمولة القطوفِ
تكسي فؤاد الشَّجي روحاً ممتزجاً بالسُّرور موفي
قد صاغه المحسنُ المسمَّى بالعالم الصَّارم العزوفِ

وقال القاضي عبد الملك بن حسين الآنسي(ت ١٣١٥هـ) رحمه الله:

هيكل الحسن للمحبين يهْدَى في رياضٍ من العلوم تبدَّى
ضاعف الله في الجزاء لمبديـ ـه ومنشيه في الحبيب المفدَّى

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الهادي إلى سبيلِه، الصادقِ في قيلِه، القائلِ في تنزيلِه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ**﴾«الحديد: ٢٨»، أكرمَ عبادَه المتقين، فأتمَّ النعمةَ وأكملَ الدين، بما منَّ به على المؤمنين ﴿**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾«آل عمران: ١٦٤»، وجمع شمل هذه الأمة بمن جمَّع فيه كريم الشمائل، وأنزلها أكرم المنازل ببعثة صاحب الفضائل، فله من كمالات البشر ما لا يبلغه قول قائل، وأنزل عليه كتاباً قال عنه: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ*لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ**﴾«فصلت: ٤١-٤٢»، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، الموصوف في الكتاب المبين: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾«الأحزاب: ٤٠»، حباه ربه الكريم بالنهج البين المستقيم، والخلق الكامل القويم، فقال- عزَّ من قائلٍ عليم-: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ «القلم: ٤»، صلى الله وسلم عليه ما تعلق القلب بالأمل، وتألق العلم بالعمل، وتلا القارئ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾«آل عمران: ١٤٤» أما بعد

فقد أطلعني أحدُ الفضلاء من نبلاء صنعاء - ونحن نتذاكر ما عليه أهل تلك الرقعة من جودة الشعر وحسن الصنعة - على هذه القصيدة البديعة الحسن، الرائقة القافية والوزن، التي جمعت من حسان المعاني وجليل النعوت، ما تستحق لأجله أن تدرس بالبيوت، إذ كانت في وصف من تقصر دونه المدائح، وتسكن بالصلاة عليه والسلام الأفئدة والجوارح، وهي القصيدة المسماة بـ «الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف» للعلامة الأديب والشاعر البارع السيد حسام الدين المحسن بن عبدالكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق الحسني الصنعاني رحمه الله.

ولما وقعت في قلبي أحسن موقع؛ وأشرقت فيه شروق الشمس من المطلع؛ بدا لي أن أبرزها للقارئين، في حلةٍ - إن شاء الله — تسر الناظرين.

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

مع علمي بأني لستُ من رجال هذه الطريقة، لا على المجاز ولا على الحقيقة، غير أنَّ حبَّ هذه الأشعار، في حلية النبي المختار، أدناني من الباب، فعددت نفسي من الطلاب، والله يغفرُ لي سوءَ تدبيري بما اعترفتُ من تقصيري، وعلى المرء الاجتهادُ حسبَ الوسْع، عسى الله أن يكتبَ به لي ولمن شاء النَّفع.

وقد جعلت عملي هذا مقسَّماً إلى مقدمة وثلاثة فصول، أما المقدمة فقد جعلتها على قسمين:

القسم الأول: في التعريف بناظم القصيدة (الشاعر) رحمه الله: ويشتمل على ستة مباحث، وهي:

١- ذكر نسب الشاعر رحمه الله ومولده.

٢- ذكر نشأته وطلبه للعلم وذكر بعض أسلافه.

٣- ذكر شيءٍ من سيرته العلمية وثناء العلماء عليه.

٤- ذكر شيءٍ من مصنفاته.

٥- ذكر شيءٍ من أشعاره.

٦- ذكر وفاته.

القسم الثاني: في التعريف بالقصيدة: ويشتمل على سبعة مباحث، وهي:

١- تحقيق نسبة القصيدة لصاحبها.

٢- تحقيق اسم القصيدة.

٣- تحقيق عدد أبياتها.

٤- موضوع القصيدة.

٥- مصادر الشاعر في قصيدته.

٦- ما فات الشاعر من بعض الأوصاف النبوية الواردة في أحاديث الباب الأول من كتاب الشمائل للإمام أبي عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ) رحمه الله، وما أضافه من أوصاف نبوية لم ترد في الباب الأول من كتاب الشمائل.

٧- الإسناد المؤدي إلى هذه القصيدة.

أما الفصل الأول: فجعلته في المعنى الإجمالي للقصيدة.

وأما الفصل الثاني: فقد أوردت فيه القصيدة كاملةً مضبوطةً شكلاً وإعراباً، ووضعت فوق كل بيتٍ رقم الحديث المستنبط منه الوصف الشريف من كتاب الشمائل للحافظ أبي عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ)رحمه الله ومن كتاب أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل للعلامة الفقيه أحمد ابن حجر الهيتمي(٩٧٤هـ)رحمه الله، كما أشرت في الهوامش إلى اختلافات النسخ والزيادات، وأضفت بعض ما أورده الناظم في شرحه لقصيدته[١].

ثم ختمت بالفصل الثالث: وهو تعليقات مختصرة على مقدمة القصيدة؛ من البيت (١) إلى البيت (٢٢) حيث قمت بتوضيح المعنى الإجمالي لكل بيت وتبيان معاني الكلمات الغامضة ما يقتضيه المقام.

أما الأبيات التي في الشمائل النبوية والحلية الشريفة من البيت (٢٣) إلى آخر القصيدة فقد تكلمت عنها إجمالاً في الفصل الأول، ولم أتعرض لشرحها بشيءٍ اكتفاءً بوفرة الشروح التي تعرضت لها، فيمكن لطالبها مراجعتها.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يعيننا على الإصابة في الكتابة، وأن يصرف عنا صوارف العزائم وجوالب الكآبة، وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب/

أحمد بن عبَّاس المسَّاح

للتواصل عبر الواتساب ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٠٤٣٦١

(١) بعد الانتهاء من التعليق على هذه القصيدة بسنوات يسر الله العثور على نسختين من مخطوطة الشرح، استفدت منهما في المقابلة، وربما أنقل منها بعض تعليقاته.

النُّسخ المعتمدة في تحقيق هذا الكتاب

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على أربع نسخ مخطوطة من ديوانه (ذوب العسجد)، وعلى مخطوطات منفردة للقصيدة ضمن سفن أدبية، طالعتها لمجرد الاستئناس بها فقط، وهي -مرتبةً- على أهميتها:

١- نسخة (أ): نسخةٌ محفوظةٌ في مكتبة مكة المكرمة، كتبت في ٢١ شعبان سنة ١٣٠١هـ بقلم صالح بن عبد الله الحيمي.

٢- نسخة (ب): وهي نسخةٌ محفوظةٌ في جامعة الملك سعود بالرياض، ضمن مجموع، كتب في سنة ١٣٥٠هـ بخط العالم الجليل حسن بن علي بن حسين المغربي.

٣- نسخة (ج): وهي نسخةٌ محفوظةٌ في جامعة الملك سعود بالرياض، كتبت في سنة ١٣٧٩ بخط علي بن محمد الزرقة، وعناية السيد يحيى بن حمود النهاري.

٤- نسخة (د): نسخةٌ محفوظةٌ في مكتبة الإمام زيد بن علي باليمن، كتبت بخطِّ العالم الجليل محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الكبسي في ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ.

وأما النسخة الخامسة من الديوان وسائر نسخ القصيدة المبثوثة في السفن الأدبية وغيرها فلا داعي لذكرها.

كما استفدت من الكتب التي أوردت القصيدة، وهي:

حدائق الزهر (خ) و(ط) للحسن بن أحمد عاكش الضمدي(١٢٨٩هـ) رحمه الله وعقود الدرر (ط) له أيضاً، ونيل الوطر لمحمد بن محمد زبارة(١٣٨٠هـ) رحمه الله.

وبعد أعوامٍ من العمل على إخراج هذا الشرح يسر الله لي العثور على شرح المصنف لقصيدته في مخطوطتين:

- المخطوطة الأولى: محفوظة بجامعة الملك سعود بالرياض، ضمن مجموع فيه عدة رسائل، تبلغ صفحات الشرح ستاً وثلاثين صفحةً، نقلت من خط محمد بن عبد الملك الآنسي(١٣١٦هـ) رحمه الله، كتبت سنة ١٣٥٣هـ.

- المخطوطة الثانية: وقفت عليها قبل مدة يسيرة، محفوظة في دار الكتب المصرية، مجاميع تيمور ٣٨١، فيلم رقم ١٧٩٨، ضمن مجموع للعلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي(١٣٧٩هـ)رحمه الله، تم قراءتها على العلامة الاجل الحسين بن علي العمري(١٣٦١هـ)رحمه الله، ويقع الشرح في أربعٍ وخمسين صفحة، لم يذكر فيها تاريخ نسخها.

[صورة المخطوطات]

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

الصفحة الأولى من المخطوطة (أ)

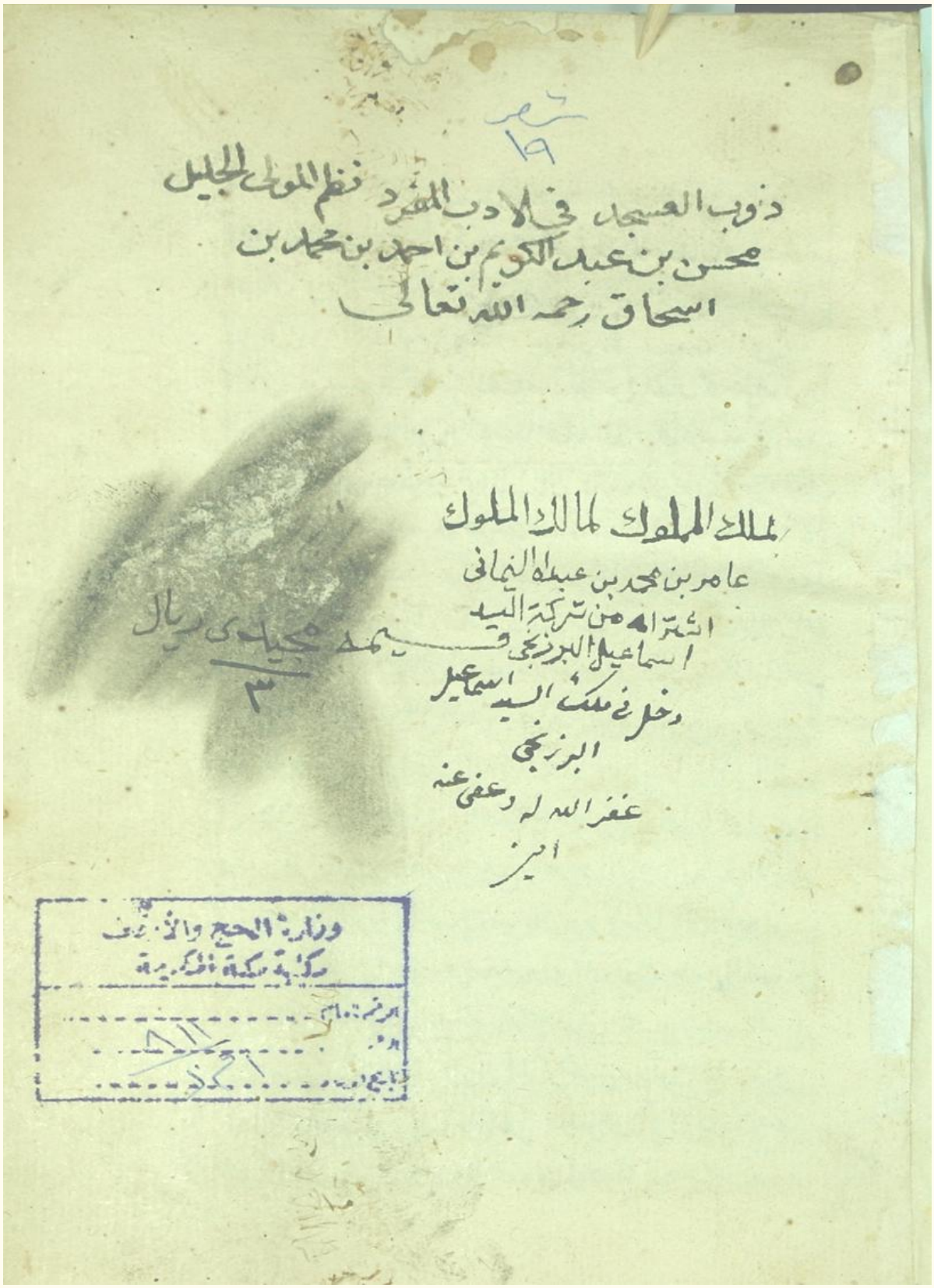
ذوب العسجد في الأدب المفرد نظم المولى الجليل
محسن بن عبد الكريم بن احمد بن محمد بن
اسحاق رحمه الله تعالى
ملك الملوك لمالك الملوك
عامر بن محمد بن عبده اليمانى
اشتراه من تركة السيد
اسماعيل البرزنجى
وخلص في ملك السيد اسماعيل
البرزنجى
غفر الله له وعفى عنه
امين
وزارة الحج والأوقاف
مكتبة مكة المكرمة

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

موضع القصيدة من المخطوطة (أ)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

الصفحة الأولى من المخطوطة (أ)

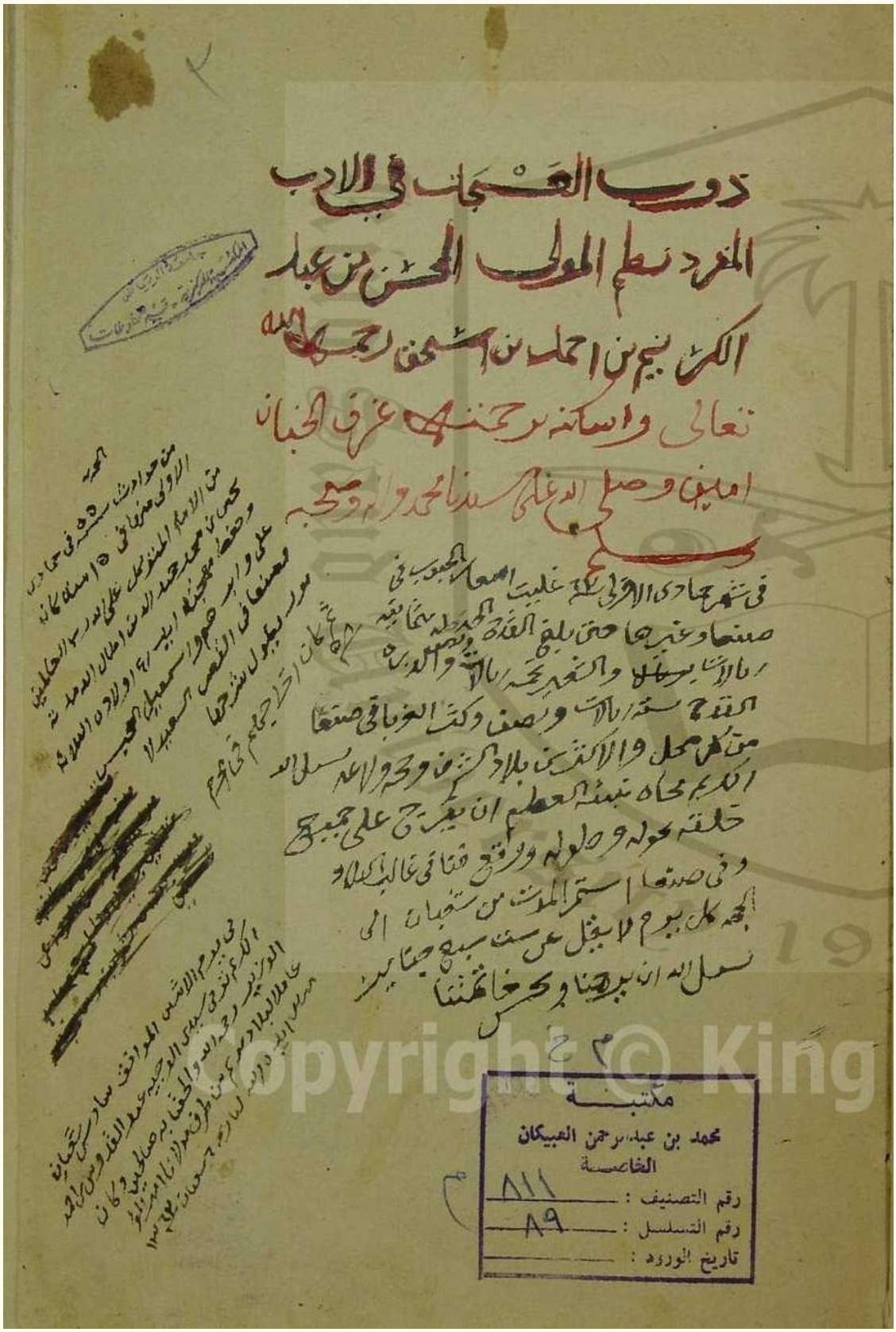
درب العجاج في الأدب
المفرد نظم المولى الحسن بن عبد
الكريم بن احمد بن اسحق رحمه الله
تعالى واسكنه برحمته غرف الجنان
آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم
مكتبة
محمد بن عبد الرحمن العبيكان
الخاصة
رقم التصنيف : ٨١١
رقم التسلسل : ٨٩
تاريخ الورود :

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

موضع القصيدة من المخطوطة (ب)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

الصفحة الأولى من المخطوطة (ج)

ذوب العسجد في الأدب المفرد
نظم المولى المحسن بن عبد الكريم بن
أحمد بن محمد بن سحق بن المهدي لدين
الله أحمد بن الحسن بن الإمام
القاسم بن محمد رحمهم الله
تعالى
آمين
ولادته سنة ١١٩١ ووفاته ذي القعدة سنة ١٢٦٦
لسيدي محمد بن عبد الرحمن
قد صار حقًا سفر ذوب العسجد، كالشمس أو كالبدر أو كالفرقد
لشموله تمجيد خالقنا وذكر شمائل الطهر الحبيب محمد
ولما حوى من كل معنى رائق، يسبي العقول كفرقف من اغيد
رحم الإله المحسن الأقوال وال أفعال والاسم الحسام الأوحد
بدر المكارم خاتم الأدباء في، ابناء اسحق الهمام الأمجد
أعيد نقله ولله الحمد والمنه
بعناية سيدي العلامة عماد الدين يحيى بن حمود النهاري أدامه الباري
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

موضع القصيدة من المخطوطة (ج)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

الصفحة الأولى من المخطوطة (د)

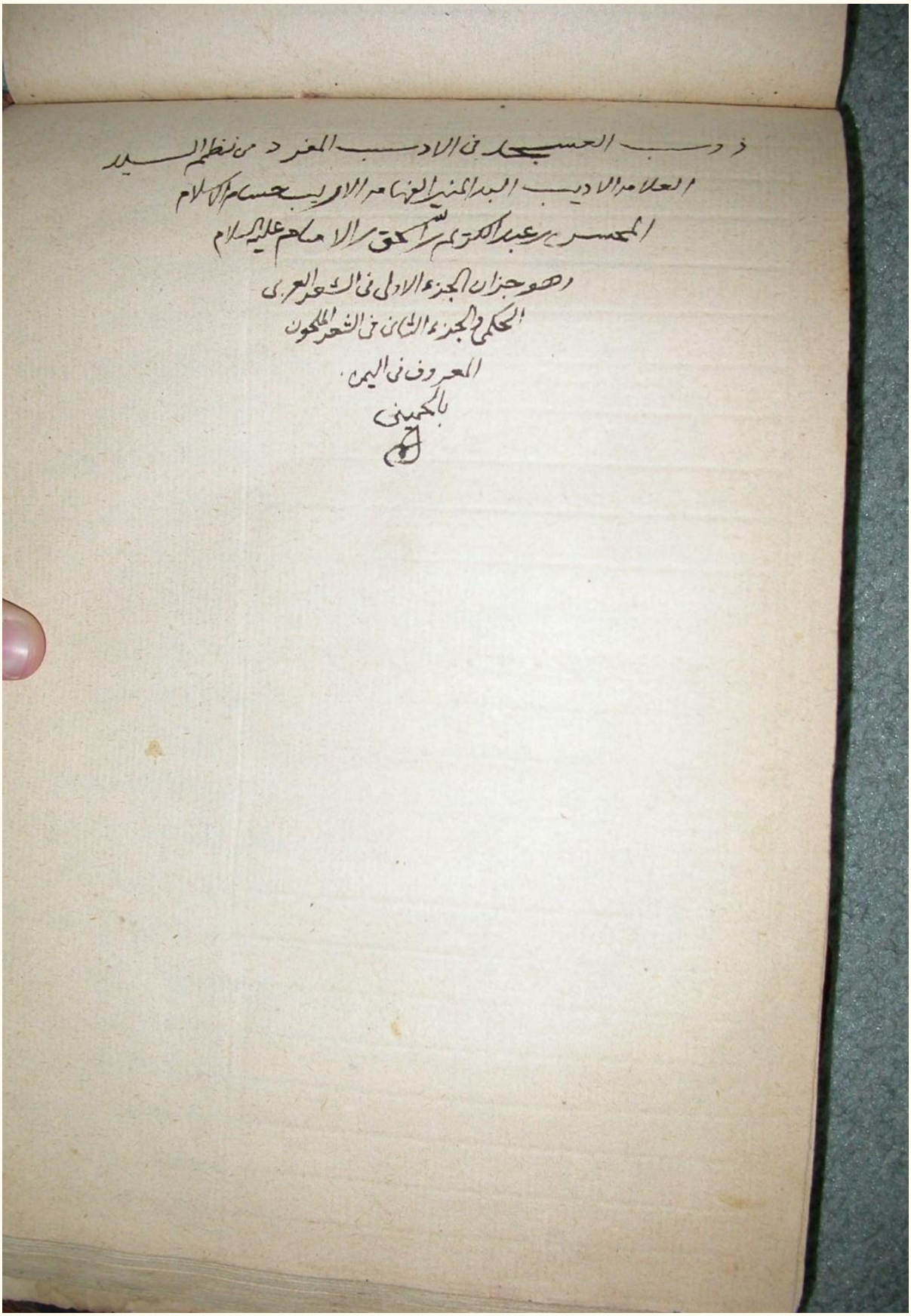
ذ دب الحسن الجد في الادب المفرد من نظم السيد
العلامة الاديب البدر المنير الفهامة الاريب حسام الاسلام
الحسن بن عبد الكريم بن الحق بن الامام عليه السلام
وهو جزآن الجزء الاول في الشعر العربي
الحكمي والجزء الثاني في الشعر الملحون
المعروف في اليمن
بالحميني

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

موضع القصيدة من المخطوطة (د)

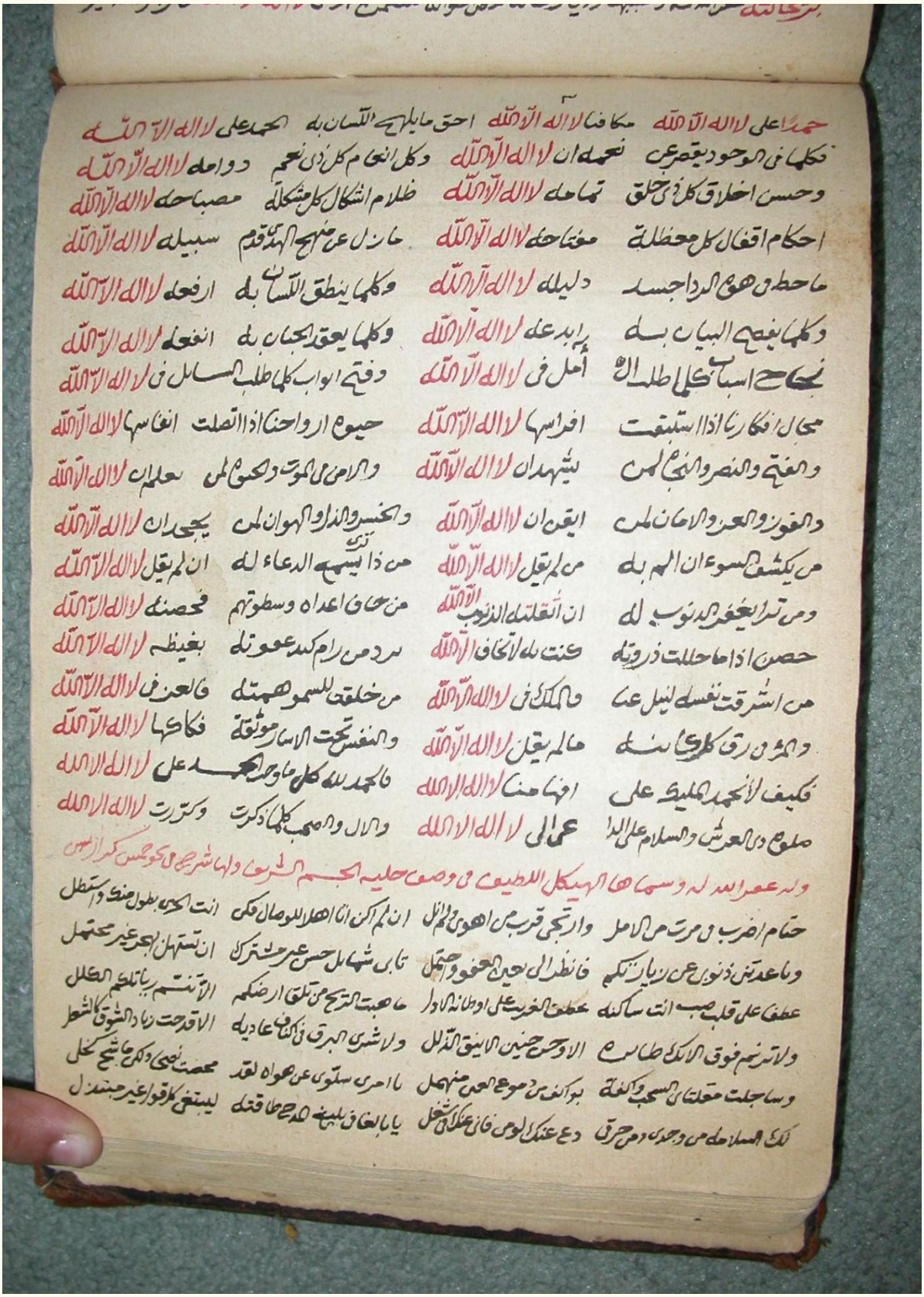

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

غلاف مخطوطة الشرح (١)

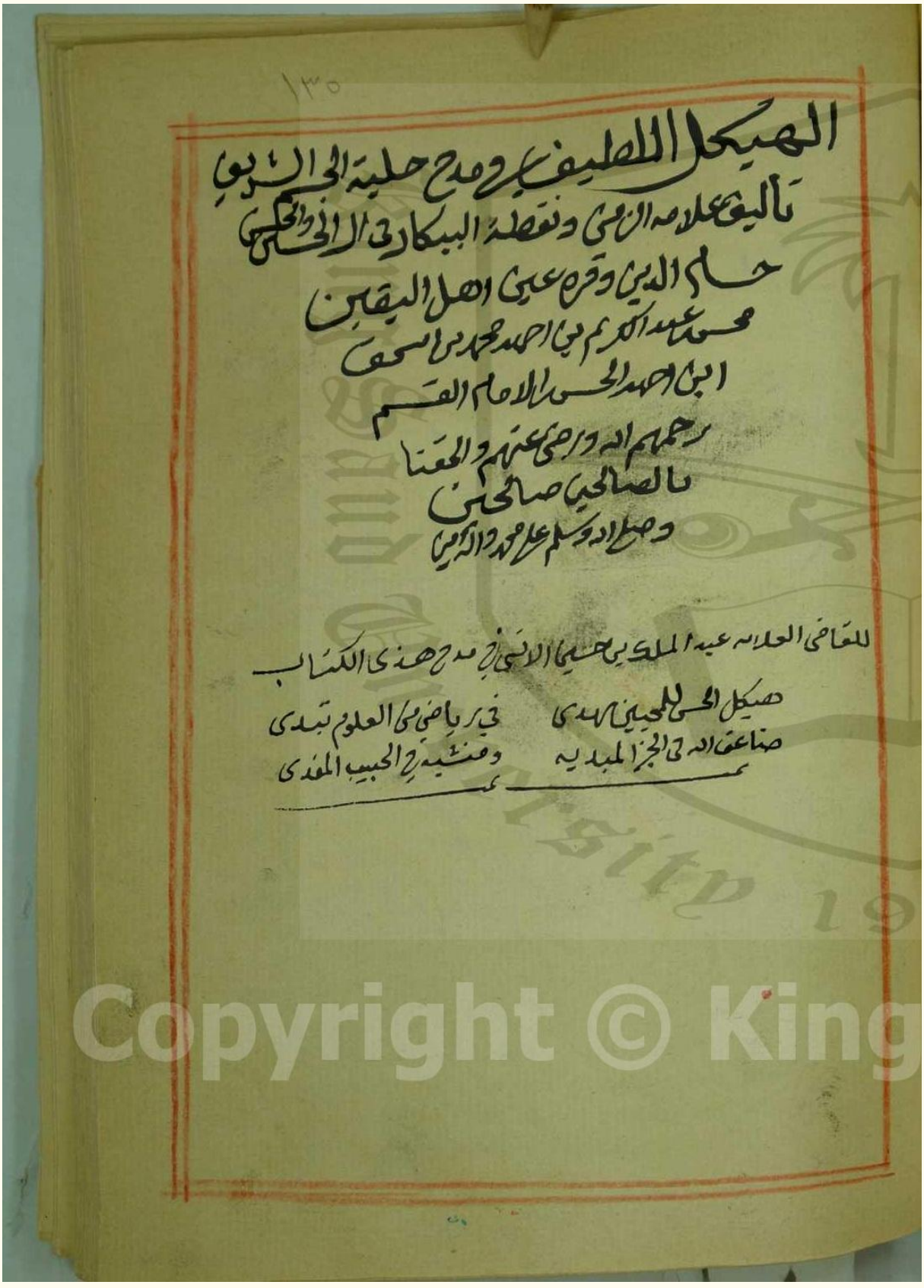
١٣٥
الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف
تأليف علامة الزمن ونقطة البيكار في الفلك الدائر
حلال الدين وقرة عين أهل اليقين
محمد عبد الكريم بن أحمد محمد بن أسعد
ابن أحمد الحسني الإمام القسم
رحمهم الله ورضي عنهم ونفعنا
بالصالحين صالحين
وصلى الله وسلم على محمد وآله أجمعين
للقاضي العلامة عبد الملك بن حسين الأنسي في مدح هذا الكتاب
هيكل الحسن للعين الهدى في رياض العلوم تبدي
صاغه الله في الجزا المبديه ومنشيه في الحبيب المفدى
Copyright © King

الصفحة الأولى من مخطوطة الشرح (١)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

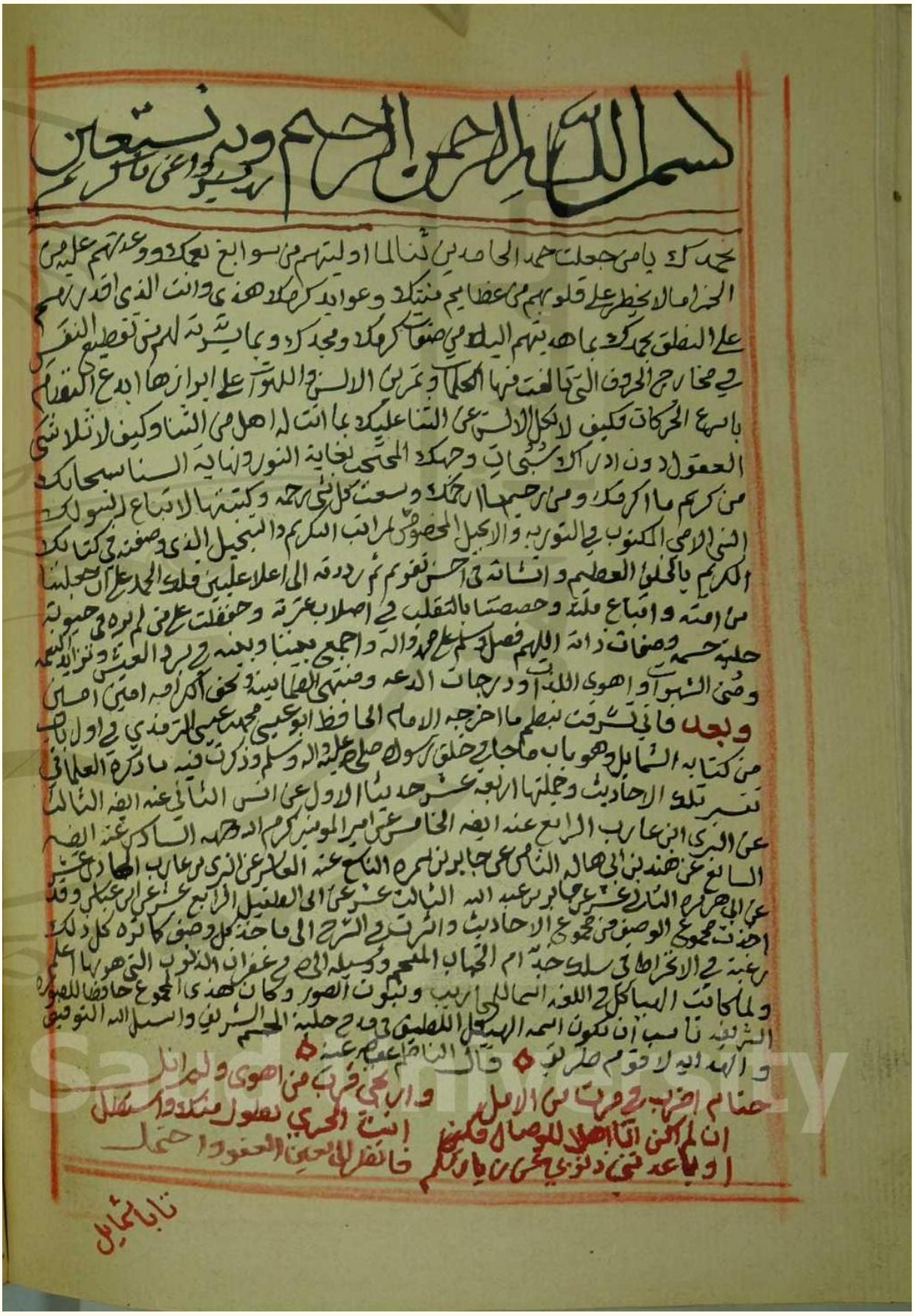

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشرح (١)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

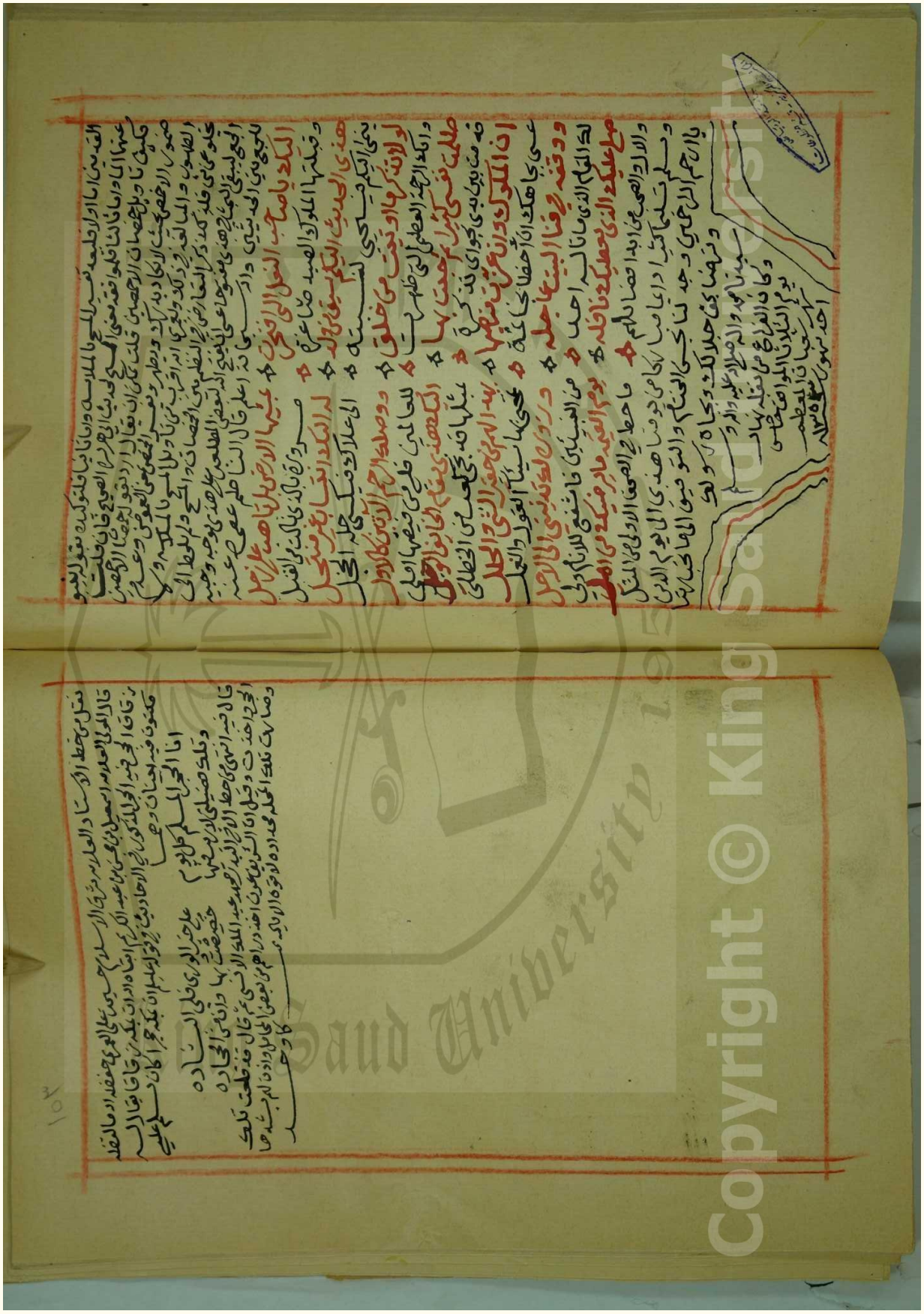

غلاف مخطوطة الشرح (١)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

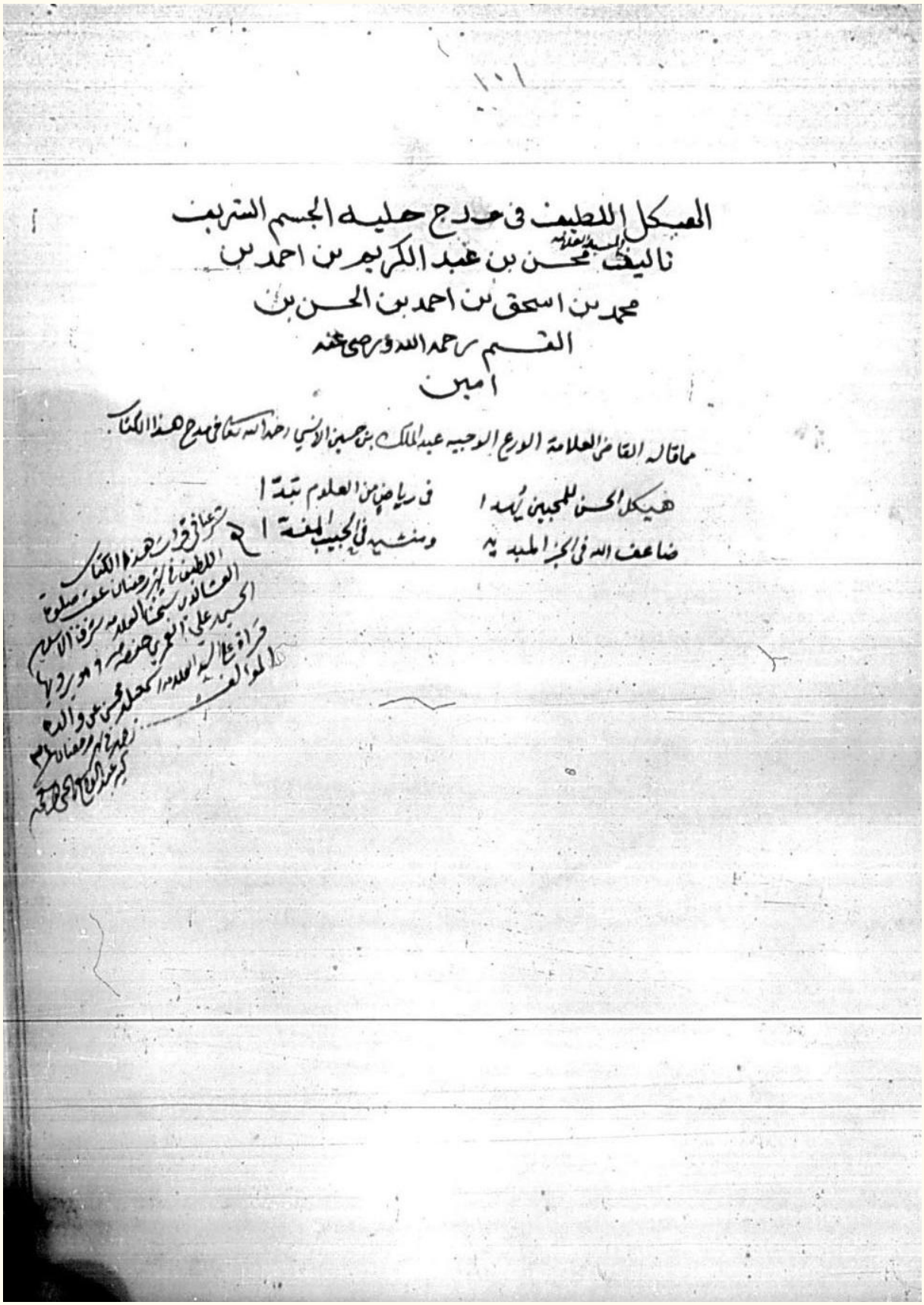
الهيكل اللطيف فى مدح حليه الجسم الشريف
تاليف السيد محسن بن عبد الكريم بن احمد بن
محمد بن اسحق بن احمد بن الحسن بن
القسم رحمه الله ورضى عنه
امين
ماقاله القاضى العلامة الورع الوجيه عبد الملك بن حسين الاسى رحمه الله تعالى فى مدح هذا الكتاب
هيكل الحسن للمجبين يهدا ... فى رياض من العلوم تبدا
ضاعف الله فى الحبر المليه ... ومنشيه فى الحبيب المغنا

تم بحمد الله وقد رتبت هذا الكتاب اللطيف يا ابن رضوان عفى صلوة العشاء الاخرة ليلة السبت سلخ شهر المولد سنة ١٠٩٠ من هجرة من له العز والشرف والسيد على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وكتبه مؤلفه ابن رضوان عفى عنه ورحمه الله آمين

الصفحة الأولى من مخطوطة الشرح (٢)

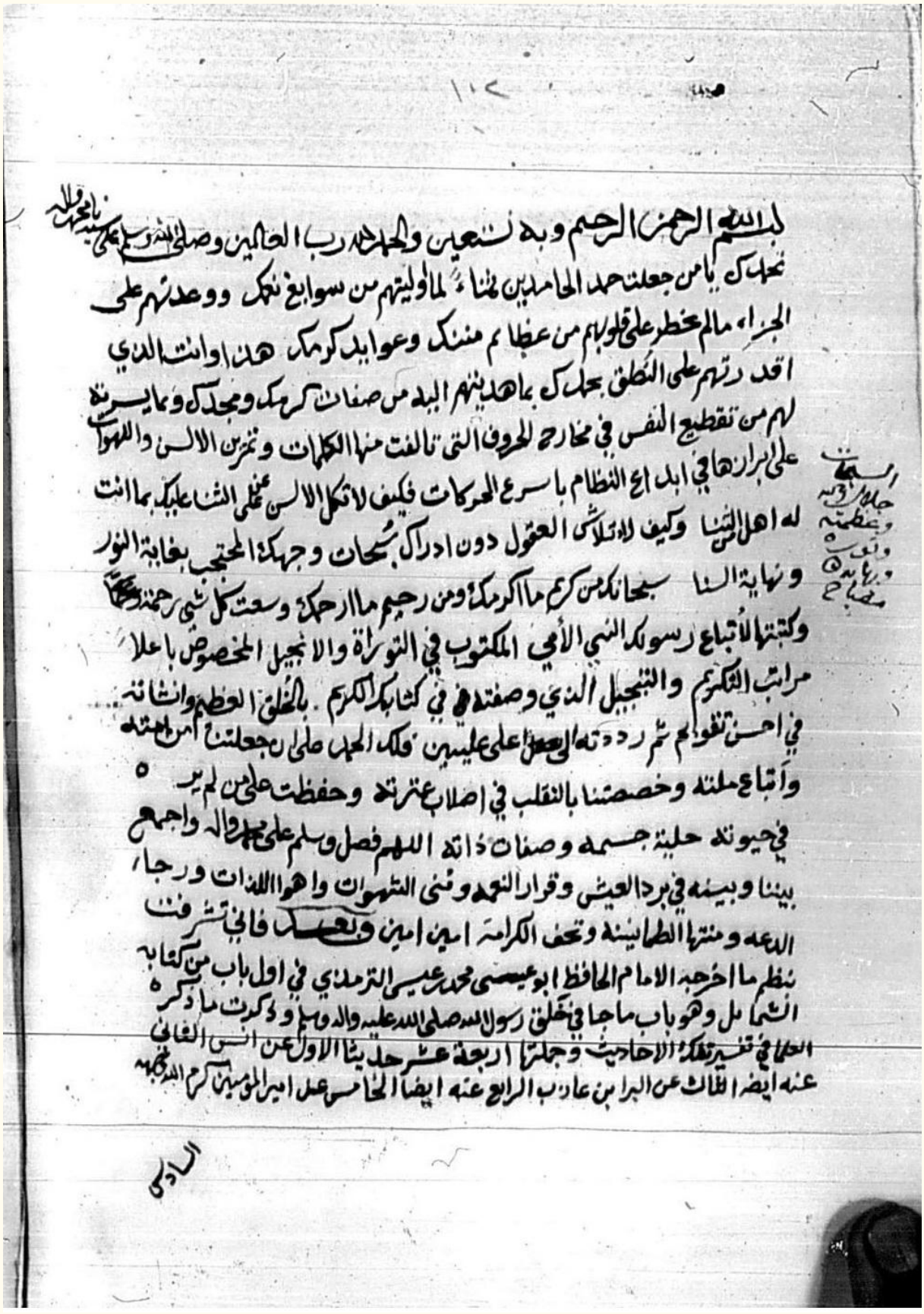

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الشرح (٢)

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

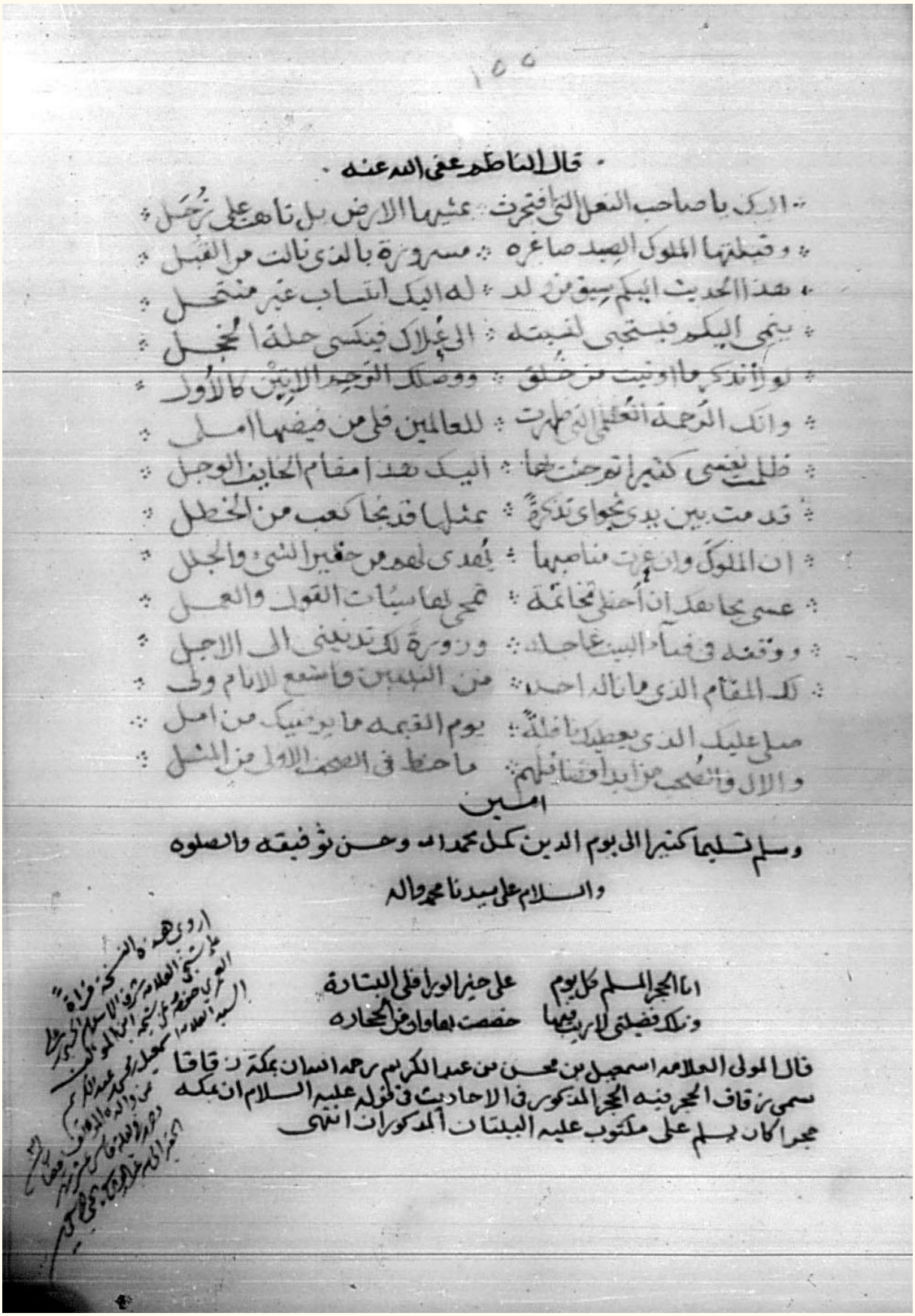

قال الناظم عفى الله عنه

ادرك يا صاحب النعل التي افترت ... عثيرها الارض بل ناهت على زحل
وقبلتها الملوك الصيد صاغره ... مسرورة بالذي نالت من القبل
هذا الحديث اليكم سيق من لد ... له اليك انتساب غير منتحل
يمم اليكم فيستحي لنسبته ... الى غلاك فينكسي حلة الخجل
لو انذكر ما اوتيت من خلق ... ووصلك الوجه الابين كالاول
وانك الرحمة العظمى التي ظهرت ... للعالمين فلي من فيضها امل
ظللت تغمى كثيرا ثم حن بها ... اليك هذا مقام الخايف الوجل
قدمت بين يدي نجواي تذكرة ... عملها قد نجا كعب من الخطل
ان الملوك وان عزت مناصبها ... تهدي لهم من حقير الشيء والجلل
عسى بجاهك ان احظى بخاتمة ... تمحي لها سيئات القول والعمل
ووقعة في مساء البين غاحلة ... وزورة لك تدنيني الى الاجل
لك المقام الذي ما ناله احد ... من النبيين واشفع الانام ولي
صلى عليك الذي يعطيك ما املة ... يوم القيمة ما يرضيك من امل
والال والصحب من ابدا وما نظموا ... ما حط في الصحف الاولى من المثل

امين

وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين كمل محمد الله وحسن توفيقه والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله

انا الحجر المسلم كل يوم ... على خير الورا في البشارة
وتلك فضيلتي لا ريب فيها ... خصصت بها دون الحجارة

قال المولى العلامة اسمعيل بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله ان بمكة رقاقا سمي رقاق الحجر فيه الحجر المذكور في الاحاديث في قوله عليه السلام ان بمكة حجرا كان يسلم علي مكتوب عليه البيتان المذكوران انتهى

مُقَدِّمَة

القسم الأول:

التعريف بناظم القصيدة (الشاعر) رحمه الله

نسبه ومولده:

هو العلامة الأديب حسام الدين محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسني الصنعاني، ولد بصنعاء في شهر ربيع الأول سنة (١١٩١) إحدى وتسعين ومائة وألف [١].

نشأته وطلبه للعلم وذكر بعض أسلافه:

نشأ المصنفُ في أسرةٍ علميةٍ وشعريةٍ عريقةٍ، حيث تربى في حجر أبيه وعمه، فغذياه بلبان الفضائل ورقياه في مدارج الكمال.

أما أبوه عبد الكريم ولد عام (١١٥٩هـ) وأخذ العلم عن والده أحمد بن محمد والعلامة الحسن بن إسماعيل المغربي[٢] وغيرهما، قال عنه العلامة محمد بن علي الشوكاني[٣] رحمه الله:« فيه سكون وحسن سمت ووقار، وعفة ونزاهة وديانة، – إلى أن قال– وشهامة نفس ورياسة وكياسة وانجماع لا سيما عن بني الدنيا، وتودد إلى أصحابه ومعارفه» [٤] وقال أيضاً: «وله نظمٌ»، وتوفي رحمه الله عام (١٢٢٥هـ).

وعمه علي ولد بصنعاء عام (١١٥٠هـ)، وأخذ العلم عن والده وغيره من أعيان العلماء، قال عنه الشوكاني رحمه الله: «وبرع في علوم عدة ولا سيما علم الأدب، فإن له فيه يداً طولى» [٥]، وتوفي رحمه الله عام (١٢٢٢هـ).

---

(١) ذكر الشجني في التقصار (ص ٢٨٩): أنه ولد عام ١١٩٠هـ، بينما يذكر تلميذه الحسن بن أحمد عاكش في حدائق الزهر (ص ١٣٨): أنه ولد عام ١١٩٤هـ.

(٢) العلامة الحسن بن إسماعيل بن حسين المغربي، ولد عام ١١٤٠هـ، وتوفي عام ١٢٠٨هـ. "البدر الطالع" (٢٣١/١).

(٣) هو العلامة القاضي المجتهد محمد بن علي بن الشوكاني رحمه الله، ولد عام ١١٧٣، وتوفي عام ١٢٥٠.

(٤) " البدر الطالع" (٤١١/١).

(٥) " البدر الطالع" (٤٦٦/١).

وكان أخوه أحمد المولود عام (١١٩٣هـ) شاعراً أيضاً، قال عنه العلامة محمد بن حسن الشجني رحمه الله: «كان شاعراً بليغاً جيد التصرف»[١]، وتوفي رحمه الله عام (١٢٢٢هـ).

وجده أحمد بن محمد ولد بصنعاء عام (١١٢٣هـ)، قال عنه البدر الشوكاني رحمه الله: «قرأ على علمائها في علم الآلة والأصول والحديث والتفسير، فبرع في جميع هذه المعارف» [٢]، ثم قال: «وبالجملة فهو من أكابر العلماء المحققين، وأفاضل السادة القادة المشهورين»، وتوفي رحمه الله عام (١١٩٠هـ).

وجد أبيه السيد محمد بن إسحاق ولد عام (١٠٩٠هـ) بالغراس، وقرأ بصنعاء على جماعة من أجل أعيانها، قال عنه الشوكاني رحمه الله: «برع في جميع العلوم وفاق الأقران وترشح للخلافة»[٣] ثم قال: «وله في الآداب يدٌ طولى، وله نظم كثير[٤] غالبه الجودة والسلاسة»، توفي رحمه الله عام (١١٦٧هـ).

ومن هذه الأسرة الكريمة (آل إسحاق) – التي يغلب عليه الشعر والأدب – ظهر شاعرنا، فلا غرو أن يقول فيه العلامة الأديب محمد بن حسن الشجني رحمه الله: «وكيف وهو من أهل بيتٍ شادوا من المجد مبانيه، وأحلوا بيت أدبهم من سحر الكلام قوافيه ومعانيه» [٥]، ويقول الحسن بن أحمد عاكش رحمه الله:«وأهل هذا البيت بلغوا الذروة في البلاغة» [٦]، وما أحراه أن يصفه العلامة إبراهيم بن عبد الله الصنعاني رحمه الله بقوله: «هو العلامة المحقق، المتقن المدقق، المهذب الأديب، الألمعي الأريب، له الأدب الذي يزري بالروض البهيج....والبلاغة التي تسحر ذوي العقول» [٧].

---

(١) " التقصار" (ص٢٨٩).

(٢) " البدر الطالع" (١/١٢٧).

(٣) " البدر الطالع " (١/٦٨١).

(٤) جمعه ولده إبراهيم في مجلد لطيف، اسمه "سلوة المشتاق في نظم المولى محمد بن إسحاق" مخطوط، قال الأستاذ عبد الله الحبشي: له شعر جيد جمع في ديوانين الأول بعنوان (حسن الأخلاق) والثاني بعنوان (سلوة المشتاق). انظر الأدب اليمني (ص ٣٦٣).

(٥) "التقصار".

(٦) "حدائق الزهر" (ص١٤٤).

(٧) "نفحات العنبر" (٣/٢٠).

من سيرته العلمية وثناء العلماء عليه:

بدأ حياته العلمية بالميل إلى الشعر وكتابته فكتب قبل أن يشتغل بطلب العلم، ثم قرأ على جملة من العلماء[١]، ومنهم:

أ) والده.

ب) العلامة إبراهيم بن عبد القادر[٢] رحمه الله: قرأ عليه في النحو في مغني اللبيب، ونظم الباب الأول منه في الحروف حال قراءته على شيخه، وفي غيره.

ج) العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله: لازمه، وقرأ عليه[٣]، وأجاز له بقوله[٤]:

أجزتُك أيها المولى بما في ... رواياتي من الكُتُبِ الصِّحاحِ

بمسموعي ومقروئي على مَن ... أنافوا في العلومِ وفي الصَّلاحِ

كذلك ما أجازتني شيوخٌ ... يطيبُ بذكرهمْ بطنُ البطاحِ

كذاك مؤلفاتي وهي عندي ... صحاحٌ لا تُعدُّ من الصِّباحِ

ألا فارو الدفاترَ غيرَ وانٍ ... جهاراً في الغدوِّ وفي المراحِ

فأنت أحقُّ من يَروي فيُروي ... غليلاً غير ذي زندٍ شحاحِ

ولستُ بشارطٍ شرطاً لأني ... رأيتك فوق شرطي واقتراحي

ولي ثبتٌ ستعرفه ففيه ... رواياتٌ أطلتُ بها مراحي

وقد كتبته في صنعا رجالٌ ... فطار بلا جَناح أو جُناحِ

فصِلني بالدعاء فذاك عندي ... إذا أهديته عينُ السَّماح

---

(١) انظر: "البدر الطالع" (٦٣٣/٢)، "الديباج الخسرواني" (ص ٤٨٤)، "عقود الدرر" (ص ٧١١)، "حدائق الزهر" (ص ١٣٨).

(٢) هو العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الكوكباني، ولد عام ١١٦٩هـ، وتوفي عام ١٢٢٣هـ. "البدر الطالع" (٤٨/١)

(٣) انظر: "البدر الطالع" (٦٣٣/٢).

(٤) انظر: "ديوان الشوكاني=أسلاك الجوهر" (ص١١٩)، "عقود الدرر" (ص ٧١٠)، "حدائق الزهر" (ص ١٣٩)، "نيل الوطر" (٢٠١/٢).

د) العلامة القاضي الحسين بن أحمد السياغي[١] رحمه الله.

هـ) السيد العلامة المحدث عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن الأمير[٢] رحمه الله، قرأ عليه صحيح البخاري وغيره[٣].

و) العلامة الحافظ محمد بن علي العمراني[٤] رحمه الله.

ز) كما حضر دروس شيخ الإسلام السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني[٥] رحمه الله.

قال العلامة محمد الشوكاني رحمه الله- واصفاً نشأة الشاعر - :« واتفق في سنين قديمة أني خرجت أنا وجماعة من شيوخي منهم شيخنا العلامة السيد عبد القادر بن أحمد وشيخنا الحسن بن إسماعيل المغربي وجماعة من علماء الزمن وأعيان صنعاء اليمن وفيهم والد صاحب الترجمة وعمه، وفي الجماعة صبيان في نحو العشر سنين وأقل وأكثر، فكان الصبيان يلعبون ويشتغلون بما يشتغل به أمثالهم، والمذكور يصغي إلى ما يدور بين أولئك الأعلام من المراجعات العلمية والمطارحات الأدبية ولا يلتف على شيء مما الصغار فيه فعجبت من حاله » إلى أن قال:« فلم تمر إلا أيام قلائل بعد ذلك حتى ظهر له النظم الجيد الفائق، وما زال ينمو نمو الهلال حتى بلغ أعلى مراتب الكمال »[٦]، وقال العلامة الشجني رحمه الله: «بذ الأقران، وصار من صغره كبير الشان»[٧].

وقال تلميذه الحسن بن أحمد عاكش الضمدي في الديباج الخسرواني رحمه الله: «شيخنا السيد العلامة البليغ»[٨]، وقال أيضاً: «كان العين الناظرة في آل الإمام، والمجلي يوم الرهان في المعارف العلمية بلا

---

(١) القاضي الحسين بن أحمد بن الحسين السياغي، ولد عام ١١٨٠هـ، وتوفي عام ١٢٢١هـ." البدر الطالع" (٢٤٩/١).

(٢) العلامة عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ولد عام ١١٦٠هـ، وتوفي ١٢٤٢هـ." البدر الطالع " (٤٣٥/١).

(٣) " البدر الطالع " (٦٣٣/٢).

(٤) العلامة محمد بن علي بن حسين العمراني، ولد عام ١١٩٤هـ، وتوفي عام ١٢٦٤هـ."البدر الطالع" (٧٦٣/٢).

(٥) العلامة المجتهد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر من آل شرف الدين، ولد بصنعاء عام ١١٣٥هـ وتوفي عام ١٢٠٧هـ. "البدر الطالع" (٣٩٩/١).

(٦) " البدر الطالع " (٦٣٤/٢).

(٧) " التقصار" (ص٢٨٤).

(٨) " الديباج " (ص٣٨٩).

كلام»[١]، وقال ﷺ في عقود الدرر: «شيخنا سيد المحققين، ومحقق الناقدين، حامل لواء الاجتهاد على كاهل حفظه، والمعرب عن سنة سيد الأنام ببيان لفظه»[٢].

ووصفه القاضي إسماعيل الأكوع ﷺ بقوله: «عالمٌ محققٌ في علومٍ كثيرةٍ، شاعرٌ أديب»[٣].

من مصنفاته:

١- جمع المفردات وشرحها: (مخطوط)

نظم فيه الباب الأول من مغني اللبيب وشرحه، قال الشوكاني ﷺ:« وبلغ أنه صار ينظم مغني اللبيب نظماً حسناً، ويشرح ذلك النظم شرحاً مفيداً، ولم أقف على ذلك»[٤].

وقال صاحب نفحات العنبر ﷺ:« ولما قرأ على شيخنا البرهان[٥] في مغني اللبيب نظم الباب الأول منه في الحروف، وهو نصف الكتاب، فجاء النظم في غاية الحسن، حلو العبارة ، جامعاً لكل المعاني، وفيه زيادات على الأصل، وشرحه بشرحٍ مفيد سماه جمع المفردات وكان ينظمه ويعلق الشرح عليه حال قراءته على شيخنا من المغني ويعرض أبحاثه عليه، فيأمره شيخنا بما يقتضيه نظره..»[٦] إلخ.

٢- ديوان شعره المسمى (ذوب العسجد في الأدب المفرد من نظم المولى محسن بن عبد الكريم بن أحمد) جمعه عبد الله بن أحمد العماري في مجلد: (مخطوط) [٧]

٣- الروض النادي في سيرة الإمام الهادي: (مخطوط).

٤- الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف: وهي قصيدته التي بين أيدينا، وله شرحٌ عليها.

وغير ذلك.

---

(١) " الديباج " (ص٤٨٣).

(٢) "عقود الدرر" (ص٧٠٩).

(٣) "هجر العلم ومعاقله" (١٥٨٩/٣).

(٤) " البدر الطالع " (٦٣٤/٢).

(٥) يعني العلامة برهان الدين إبراهيم بن عبد القادر ﷺ.

(٦) " نفحات العنبر" (٢٤/٣).

(٧) رأيته -قبل مدة- مطبوعاً بعناية أحد أسرة آل إسحاق في شبكات الانترنت.

من أشعاره:

قال القاضي الشوكاني رحمه الله: «وله قصائدُ قد طارح بها أكابر العلماء وأفاضل الأدباء وهو إذ ذاك في سن البلوغ، وهو الآن في سن الشباب وقد صار معدوداً في العلماء، ومذكوراً بين أعيان الشعراء من أهل صنعاء»[١]، وقال العلامة محمد بن حسن الشجني رحمه الله: «نظمه منظوم الدرر، ونثره منثور الجوهر»[٢]، ثم قال: «العلامة بالاتفاق، أديب أهل العصر على الإطلاق»، وقال تلميذه الحسن بن أحمد عاكش رحمه الله: «وأما الأدب فما علمت في أهل الزمن من يدانيه فيه، ولا يبلغ أحد حسن ديباجته فيما ينتحيه»[٣] وقال : «كان من بلغاء العصر، الذي لا يدانيه فيه أحد، وهم أهل بيت بلغوا الغاية في إجادة الشعر ونقادته ولهم التصرف في فنونه، لا سيما المترجم له»[٤]، وقال العلامة إبراهيم بن عبد الله الصنعاني رحمه الله: «اشتغل بمطالعة الدواوين الشعرية وحفظ القصائد والتأمل لمعانيها وهو دون التكليف، ونظم الشعر الحميني الرقيق وهو صغير السن، فجاء فيه بالعجب العجاب، وتناقله الظرفاء وسارت به الركبان»[٥]، وقال العلامة محمد بن عبد الملك الآنسي رحمه الله في هامش النسخة الخطية من البدر الطالع رحمه الله: «وديوان شعره في مجلد، إذ قد اشتهر في أيدي الناس رحمه الله»[٦]، فمن قصائده:

لاميته التي كتبها لعمه جمال الدين علي وهو في دار الاعتقال[٧]:

حييت يا ربعَ من أهوى بمطالِ من الغوادي معين الورد سلسالِ

ومنها:

سألتك اليوم عنها ما الذي صنعت

---

(١) "البدر الطالع" (٢/٦٣٤).

(٢) "التقصار" (ص٢٨٤).

(٣) "الديباج" (ص٤٨٤).

(٤) "عقود الدرر" (ص٧١٣).

(٥) "نفحات العنبر" (٣/٢٠).

(٦) " البدر الطالع " (٢/٦٣٣).

(٧) انظرها وما يليها من أبيات في "نفحات العنبر" (٣/٢٥ وما بعدها).

فكان رجع جوابي منك تسآلي

أطمعت منك بميعادٍ وكنت على

نجز المراد فخابت فيك آمالي

فعلقت بحبال الشمس منك يدي

وسرت عنك كأني وارد الآلِ

فجئت أنظر ما العذرى فأعذركم

أنخوة الحسن أم أقوال عذالي

ما كان أظلم هنداً أنها جعلت

عكس اسمها بعد حذف النون والدالِ

ويقول في ضاديته لابن عمه إسماعيل بن علي:

أسكانَ وادي القصر حبكمُ فرضي

أما ليَ من لقياكمُ غرضٌ مقضي

عسى وقفاتٍ في حماكمْ أنيقةٍ

تعود على مُضناكمُ قبل أن يقضي

ومن شعره الرقيق:

صبٌّ أضناه تلهفُهُ إذ ودع سرباً يألفُهُ

أفناه الهجرُ وأتعبه شكواه لمن لا ينصفُهُ

يا أهل السَّفح غريمُ غرا مٍ هل منكمْ من يسعفُهُ

وقال مضمناً لعجز بيتٍ للأعشى[١]:

أبيتُ بقلبٍ يصطلي نارَ شوقِهِ
فإنْ راعَهُ داعي الصباحِ يحلّقُ
وأُخفي ندى دمعي نهارًا وإنه
لَبردٌ لنارٍ في الضلوع يحرّقُ
فإن جنَّ ليلي عادَ قلبي ومدمعي
(وباتَ على النَّار النَّدَى والمحلّقُ)

ومن أبياته[٢] بعد خروجه من المدينة ومفارقة مسجد النبي ﷺ:

كأني إذ أودعُهُ أودِّعُ مهجتي قسرا
وأرسلُ أدمعاً بيضاً وأتبع بيضها حمرا
كدرٍّ أو كياقوتٍ وأغلى منهما قدرا
فيا عينُ اكففي دمعاً ويا قلبُ ادَّرِعْ صبرا
لعلَّ ليالياً سلفت سترجع مرة أخرى

وله أرجوزةٌ[٣] في ذكر فيها رحلته إلى مكة المكرمة لأداء الحج عام ١٢٣٧، وأولها[٤]:

بسم إلهي تحسن البدايةْ وتصلح الأعمال في النهايةْ

---

(١) بيت الأعشى الشهير هو: تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النَّار النَّدى والمحلقُ

(٢) ذكرها أ. عبد الله الحبشي في "الأدب اليمني"(ص٦٥٠).

(٣) وقفت على نسخ مخطوطة لها، يسر الله نشرها.

(٤) ذكر شيئاً منها أ. عبد الله الحبشي في "الرحالة اليمنيون" (ص١٣٣).

وفاته:

عكف آخر أيامه على كتب الرقائق، وكان متقيداً بالدليل في جميع الأقاويل[١]، ومات رحمه الله بصنعاء ليلة الأربعاء خامس عشر ذي القعدة سنة ١٢٦٦هـ[٢].

(١) "حدائق الزهر" (١٤٨).

(٢) "الديباج الخسرواني" (ص٤٨٣)، "عقود الدرر" (ص٧٢٠)، "الروض البسام فيما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام"

القسم الثاني:

في التعريف بالقصيدة

جعل الشاعر رحمه الله قصيدته على بحر البسيط أحد أشهر البحور الخليلية، وأعذبها لحناً، وأرقها وقعاً، وهو أحد بحور دائرة المختلف، والتي تضمُّ – مع البسيط – الطَّويل والمديد ذوات الأجزاء الثمانية، وتأتي تفعيلات البسيط على (مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ) أربع مراتٍ، وله ثلاثةُ أعاريض وستةُ أضربٍ، وتفصيل ذلك في كتب العروض والقوافي[1].

وقصيدتنا هذه من البيت الأول التام الذي يكون عروضه مخبونة (فَعِلُنْ)، وضربه مخبونٌ مثله (فَعِلُنْ)، هكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

وقافيتها لاميَّةٌ مكسورةٌ، على غرار لاميَّة إسماعيل ابن المقرئ الزبيدي الشافعي(٨٣٧هـ) رحمه الله ، التي مطلعها:

زيادة القول تحكي النقصَ في العمَلِ ومنطقُ المرءِ قد يهديهِ للزَّلَلِ

ولامية ابن بهران الصعدي(٩٥٧هـ) رحمه الله التي مطلعها:

الجدُّ في الجِدِّ والحِرمانُ في الكسلِ فانصبْ تصبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ

(ص٩٣).

(١) انظر: "العَروض" لأبي الفتح ابنِ جِنّي (ص:٥٣)، و"الكافي في العَروض والقوافي" للخطيب التَّبريزي (ص:٣٩).

وقبل الشُّروع في قراءة القصيدة يحسنُ بنا أن نتطرَّق إلى الحديثِ حول سبعة مباحث:

المبحث الأول:

تحقيق نسبة القصيدة لصاحبها

ما يتعلق بإثبات نسبة القصيدة لصاحبها فنقولُ:

١) ورود القصيدة في جميع مخطوطات ديوانه (ذوب العسجد في الأدب المفرد)، حيث وردت في أوائل القسم الأول من ديوانه وهو (الشعر الحكمي)، وديوانه ينقسم إلى نوعين: (الشعر الحكمي) و(الشعر الحميني).

٢) أغلب من ترجم له ذكر القصيدة ونسبها له، ومنهم:

١- **تلميذه الذي قرأها عليه وهو العلامة الحسن بن أحمد عاكش الضمدي**(١٢٨٩هـ)رحمه الله وذلك في كتابيه (حدائق الزهر ص:١٤٤) و(عقود الدرر ص:٧١٣) حيث قال: «وله هذه القصيدة العظيمة في شمائل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم» ثم سردها في الموضعين، وقال في (حدائق الزهر ص١٤٨): «وله عليها شرح بديع سماه الهيكل اللطيف لحلية الجسم الشريف، قرأته على مؤلفه»، وأعاد نفس الكلام في (عقود الدرر ص٧١٨:) قائلاً: «وله عليها شرح عظيم في غاية من التحقيق سماه الهيكل اللطيف لحلية الجسم الشريف، وقد قرأته على مؤلفه من أوله إلى آخره»، وقال في (الديباج الخسرواني ص:٤٨٤): «ونظم الشمائل النبوية بقصيدة من بحر البسيط على قافية اللام، وشرحها بشرح كشف عن فرائدها اللثام».

٢- **العلامة محمد بن عبد الملك بن حسين الآنسي**(١٣١٦هـ)رحمه الله في هامش النسخة الخطية من البدر الطالع حيث قال: «وله شرحٌ لقصيدته التي أولها: (حتامَ أضربُ في مرتٍ من الأملِ)، شرحٌ نفيسٌ طنان».

٣- **العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة**(١٣٨٠هـ)رحمه الله في كتابه (نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ٢/٢٠٣)، وكذلك في (شرح نظم أجود الأحاديث المسلسلة وذيلها ص:٣٦٥).

٤- **القاضي العلامة محمد بن عبد الله العمري**(١٣٨٠هـ)رحمه الله في سفينته الأدبية المسماة (سفينة الأدب والتاريخ ١/١٥٧).

٥- **القاضي إسماعيل الأكوع**(١٤٢٩هـ)رحمه الله في كتابه (هجر العلم ومعاقله ٣/١٥٩١).

٦- **المؤرخ عبد الملك بن أحمد بن قاسم** في كتابه (الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن ٢/١٧٠).

٧- **المؤرخ المحقق عبد الله بن محمد الحبشي** في كتابه (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص:١٠٤) وكتابه (الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن ص:٢٢٥) حيث قال: «وكان لأدباء القرن الثالث عشر شغف كبير بمدحه ﷺ وقد قيلت فيه عدة قصائد، لعل أشهرها قصيدة الأديب محسن بن عبد الكريم إسحاق المتوفى ١٢٦٦هـ التي أولها:

حتامَ أضربُ في مَرْتٍ من الأملِ وأرتجي قربَ من أهوى ولم أنلِ»

كلُّ ذلك وغيرُهُ؛ يؤكِّد صحَّةَ نسبتها إليه، والله المستعان وعليه التُّكلان.

❁❁❁❁❁

المبحث الثاني:

تحقيق اسم القصيدة

بادئ الأمر – وقبل الاطلاع على نسخ الديوان– كان اسم القصيدة مختلفاً في المراجع التي أوردتها أو أشارت إليها، وهذا الاختلاف في الاسم جعلني أسعى لمعرفة الاسم الصحيح لها، خاصةً أن جلَّ من

أوردها أو أشار إليها اختلط عليه اسم القصيدة مع اسم الشرح، وها أنذا أسوق الأسماء التي وردت للقصيدة وقائليها، ثمَّ أذكر الاسم الصحيح لها إن شاء الله.

فمن ذلك:

(١) «**الهيكل اللطيف في وصف حلية الجسم الشريف**»:

وهو اسم القصيدة عند القاضي العلامة محمد بن عبد الله بن الحسين العمري رحمه الله إذ سماها بذلك حين قال في سفينته الأدبية التاريخية (١/١٥٧): «الهيكل اللطيف في وصف حلية الجسم الشريف، من نظم السيد العلامة محسن بن عبد الكريم بن أحمد ابن إسحاق رضي الله عنه وجزاه خيراً»، وهذا هو نفس العنوان الذي وجدته في أول مخطوطٍ اطلعت عليه أوردها فيه صاحبه[١].

(٢) «**حلية الجسد الشريف**»:

وهو اسم القصيدة، وأما الهيكل اللطيف فهو اسم للشرح، كما نص على ذلك العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة رحمه الله في نيل الوطر (٢/٢٠٣) حين قال: «وقصيدته التي شرحها بالهيكل اللطيف هي: حتام أضرب في مرتٍ من الأملِ...»إلخ القصيدة، وكذلك فعل في شرح أجود الأحاديث المسلسلة وذيلها (ص:٣٦٦٥) فقال رحمه الله: «...في منظومته حلية الجسد الشريف، المشروحة بكتابه الهيكل اللطيف..»، ثم قال بعد أن ذكر جملة من الأبيات: «وقد تكلم ناظمها في شرحها الهيكل اللطيف على...»، **وتبعه في ذلك أيضاً** المؤرخ المحقق عبد الله بن محمد الحبشي في كتابه الأدب اليمني(ص:٢٢٥) فذكر أثناء ترجمته للشاعر ما نصه: «هي قصيدة طويلة شرحها الشاعر في مؤلف مستقل بعنوان "الهيكل اللطيف"»، **وكذلك** شيخنا العلامة المؤرخ عبد الملك بن أحمد بن قاسم في

---

(١) أفادني بصورة المخطوط آنذاك أخونا الشيخ المحقق عبد النور القحفة الصنعاني جزاه الله خيراً، وهي التي اعتمدت عليها قبل سنوات حين نشرت في مواقع التواصل الاجتماعي.

كتابه الروض الأغن (٢/١٧٠)، حيث قال: «وله الهيكل اللطيف شرح حلية الجسد الشريف، شرح قصيدة له»[١].

(٣) «**الهيكل اللطيف لحلية الجسم الشريف**»:

وهو قريبٌ من الاسم الثاني، ذكره تلميذُ النَّاظمِ العلامةُ الحسنُ بن أحمد عاكش الضمدي في حدائق الزهر (ص:١٤٨) حيث قال رحمه الله: «وله عليها شرحٌ بديعٌ، سماه " الهيكل اللطيف لحلية الجسم الشريف" قرأته على مؤلفه»، وقال في عقود الدرر (ص:٧١٨): «وله عليها شرح عظيم في غاية من التحقيق سماه "الهيكل اللطيف لحلية الجسم الشريف"، وقد قرأته عليه من أوله إلى آخره»، وهو كما ترى قد عد **الهيكل اللطيف اسماً للشرح** دون التعرض لتسمية القصيدة.

(٤) «**الهيكل اللطيف شرح حلية الجسم الشريف**»:

وهو اسم القصيدة كما ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي في كتاب مصادر الفكر (ص:١٠٤) حين أورد مصنفات الشاعر فقال: «الهيكل اللطيف شرح حلية الجسم الشريف»، ثم أورد اسم الشرح فقال: «الحصن المنيف شرح الهيكل اللطيف».

(٥) «**الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف**»:

وهو اسم المنظومة، كما في فهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء، والذي أشرفت عليه وزارة الأوقاف اليمنية[٢].

---

(١) ومثلهم أيضاً صاحب كتاب أعلام المؤلفين الزيدية (ص:٨١٩) حين ذكرها بقوله: «شرح قصيدة له».

(٢) وتكرر نفس الاسم في مجلة المورد العراقية العدد ٣ لعام ١٣٩٣ ذكر الكاتب أنها ضمن مجاميع مخطوطة كانت في خزانة الأسرة الحاكمة – آل حميد الدين– وآلت إلى مصلحة الآثار.

هذه أبرز الأسماء اكتفيت بها لشهرة من نقلها[1]، وأعرضت عما ذكره سواهم لئلا يطول المبحث دون كبير فائدة، والذي ترجح لي بعد تكرار النظر، أن الاسم الخامس هو اسم المنظومة، وذلك للأسباب الآتية:

- أن الأستاذ المؤرخ عبد الله الحبشي في كتابه القيم مصادر الفكر (ص:١٠٤) حين أورد مصنفات الشاعر ذكر من ضمنها:« الهيكل اللطيف شرح حلية الجسم الشريف» ثم أضاف أيضاً: «الحصن المنيف شرح الهيكل اللطيف»، وهذا التَّنصيص منه باسم الشَّرح كافٍ في الدلالة على أن «الهيكل اللطيف» هو اسم القصيدة وليس اسم الشرح، وهذا ما نريد إثباته هنا ابتداءً.
- وأما من سماه بـ«الهيكل اللطيف في وصف حلية الجسم الشريف»، فالظنُّ أن كلمة (وصف) مقحمة أو ذكرت تفسيراً لمعنى حلية، لأن حلية لها أكثر من معنى؛ ومنها الصفة، كما في حديث هند بن أبي هالة ا، ولا يمكن أن يكون المعنى (في وصف صفة الجسم الشريف) لأنه تكرار لا داعي له، ولا يمكن صدوره ممن ملك أزمة الأدب وقاد أعنة الشعر.
- وأما على رأي أهل القول الثاني – ومنهم أ. عبد الله الحبشي في كتابه الأدب اليمني – فإن اسم النظم عندهم «حلية الجسد الشريف» وهذا مستبعدٌ عندي لأجل ما مضى أولاً، ولأجل أنَّ الغالب على المصنفين في العلم على تنوع فنونه، والشعر على تعدد ضروبه، أنهم يعنون عناية فائقة باختيار الأسماء الرائقة، ذات الأسجاع الفائقة، فقل أن ترى كتاباً في ذلك الزمن وقبله إلا وعليه مسحة من سجعٍ بديع، ولن يعجز شاعرنا عن اختيار اسمٍ مسجوع لقصيدة فريدة كهذه، ولذلك سماها «الهيكل اللطيف في حلية الجسم الشريف» فالقصيدة هي هيكل لطيف، حوى حلية أي وصف الجسم الشَّريف، وعندما شرحها صاحبها سمى شرحه «الحصن المنيف شرح الهيكل اللطيف».

---

(١) وأما القاضي إسماعيل الأكوع رحمه الله فقد ذكر في هجر العلم (١٥٩١/٣) من مصنفات أديبنا: (الهيكل اللطيف في حلية الجسد الشريف) دون تعرضٍ لموضوعها.

- أن اختيار اسم (الحصن) أليق بالشَّرح من (الهيكل)، واختيار (الهيكل) أليق بالنظم من (حلية الجسم الشَّريف)، كما لا يخفى على من راض ذوقه بالأدب، ونهل من أشعار العرب، وتوضيح ذلك أن الهيكل في اللغة[1] يطلق على أشياء منها:

١- الضَّخم من كل شيء. ٢- الفرس الطويل. ٣- بيت للنصارى فيه صورة مريم عليها السلام. ٤- البناء المشرف، وغيرها من المعاني.

والمعنى الرابع هو الأليق هنا باسم القصيدة فإنَّ هذه القصيدة كالبناء المشرف، يطل الناظر من خلاله إلى حلية الجسم الشريف، وأما شرحها فهو كالحصن المنيف الذي يحوط الهيكل ويحميه.

- أن في اسم «الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف» فائدتين:

ا) كلمة (في مدح) المذكورة أعلاه؛ هي كلمة زائدة تستحق التأمل، فإنَّ الشَّاعر قال في بيته العشرين من قصيدته: لذاك عدت إلى مدحٍ لحليته...إلخ البيت، فهو يخبر أنه يمدح حلية النبي ﷺ، فالقصيدة مدح لحليته الشريفة ﷺ.

٢) قوله (حلية الجسم)[2] بدلاً من (حلية الجسد) موافقٌ لتعبير الشاعر في البيت الثالث والعشرين من قصيدته حيث قال: والجسمُ في عالمِ الأجسامِ متَّصفٌ...إلخ البيت، يعني جسم نبينا ﷺ ولم يذكر الجسد في قصيدته.

- وأما الاسم الذي ذكره العلامة عاكش الضمدي فما أجمله وما أحلاه لولا أنه جعله اسماً للشرح!.

وبهذا يظهر أن (الهيكل اللطيف) هو اسم القصيدة لا الشرح، وأن تكملة الاسم المسجوع لهذه القصيدة هو (في مدح حلية الجسم الشريف)، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي (ص٩٦٦).

(٢) كما في عقود الدرر وحدائق الزهر وسفينة الأدب، وأولى مخطوطات القصيدة التي وقفت عليها.

وكل ما تقدم من الحديث حول تحقيق اسم القصيدة، كان قبل الوقوف على نسخ الديوان الخطية، والتي اتفقت كلها على تسمية القصيدة بـ(الهيكل اللطيف) ثمَّ أخبر جامع الديوان أن لناظمها شرحاً عليها يبلغ خمسة كراريس، والحمد لله.

ثم يسَّر الله الاطلاع على الشَّرح فكان اسمها كما كتب أبو عذرتها: (الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف) وبالله التوفيق.

❁❁❁❁❁

المبحث الثالث:

تحقيق عدد أبيات القصيدة

تحقيق عدد تبلغ أبياتُ المنظومة (٧٠: سبعين بيتاً)، أبياتها كما في النسخة (ج) من مخطوطات الديوان وشرح المصنف، وكذلك في عقود الدرر، وحدائق الزهر، ونيل الوطر، وشرح أجود الأحاديث المسلسلة، وسفينة الأدب والتاريخ.

بينما كان عدد الأبيات في النسخة (أ) و(ب) و(د) تبلغ (٦٩: تسعةً وستين بيتاً)، وسقط منها قوله في البيت السابع والستين :

ووقفة في فناء البيت عاجلةٍ وزورةٍ منك تدنيني إلى الأجلِ

❁❁❁❁❁

المبحث الرابع:

موضوع القصيدة

موضوعها كما قال تلميذُ المصنفِ الحسنُ بن أحمد عاكش رحمه الله: «ونظم الشمائل النبوية»، وقال: «في شمائل المصطفى ﷺ»، وهو ظاهرٌ في عنوان القصيدة (حلية الجسم الشريف)؛ أي صفة ونعت خَلق النبي ﷺ، وهو أحد شقي الشمائل النبوية، والشق الثاني منها هو أخلاق النبي ﷺ وهديه، وإلى هذا المعنى نظر الشاعر فقال:

لما حوى العدلَ في الأخلاقِ كان له من كلِّ خَلقٍ جميلٍ كلُّ معتدلِ

❁❁❁❁❁

المبحث الخامس:

مصادر الشَّاعر في القصيدة

نصَّ الشَّاعر في شرحه على قصيدته أنَّه إنما نظم الباب الأول من الشمائل المحمدية للإمام الترمذي رحمه الله، مقتصراً على أحاديث الباب الأول من كتاب الشمائل وهو باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ، حيث قال رحمه الله في شرحه:

"أما بعد فإني تشرفت بنظم ما أخرجه الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي في أول باب من كتابه الشمائل، وهو باب ما جاء في خَلق رسول الله ﷺ وذكرت ما ذكره العلماء في تفسير تلك الأحاديث -إلى أن قال- وقد أخذت مجموع الوصف من مجموع الأحاديث، وأشرت في الشرح إلى مأخذ كل وصف كما تراه".

وبعد طول التأمل في القصيدة أقول: استقى المؤلف مادته العلمية في قصيدته من:

١- كتاب الشمائل[1] للإمام أبي عيسى محمد الترمذي رحمه الله وذلك في:

(١) باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ كاملاً، ويظهر لك ذلك عند الأبيات التالية: (٢٣-٢٤-٢٦-٢٨-٢٩-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٤١-٤٣-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٣-٥٤)، وفي الأشطر الأولى من الأبيات: (٢٥-٣٠-٤٠-٤٤).

(٢) باب ما جاء في شيب رسول الله ﷺ حديث، واحدٌ فقط، ويظهر لك ذلك عند البيت (٤٢).

---

(١) الإحالة في هذا الكتاب إلى طبعة دار الغرب الإسلامي، تحقيق ماهر ياسين الفحل وإشراف د. بشار عواد معروف، وحينما أشرت فوق بعض الأبيات من القصيدة إلى موضعها من كتاب الشمائل رمزت لها بحرف ش ثم أتبعت الرمز برقم الحديث بين قوسين، هكذا ش (١) أي الحديث الأول من كتاب الشمائل.

(٣) باب ما جاء في مشية رسول الله ﷺ حديثٌ واحدٌ فقط، ويظهر لك ذلك عند البيت (٢٧).

(٤) باب كيف كان كلام رسول الله ﷺ حديثٌ واحدٌ فقط، ويظهر لك ذلك عند البيت (٣٩).

(٥) باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ حديثٌ واحدٌ فقط، ويظهر لك ذلك عند البيت (٣٤).

(٦) باب ما جاء في خُلق رسول الله ﷺ حديثان فقط، ويظهر لك ذلك عند الأبيات التالية: (٣٤ – ٥٠ – ٥١).

(٧) باب ما جاء في رؤية رسول الله ﷺ حديثٌ واحدٌ فقط، ويظهر لك ذلك عند البيتين (٣٤-٤١).

٢- **شرح الفقيه ابن حجر الهيتمي** رحمه الله **على الشمائل المسمى أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل**[(١)]، ويظهر ذلك عند الأبيات التالية: (٢٥-٣٩-٤٤-٥٠-٥١-٥٢)، واستفادها الشَّاعر من الشرح المذكور عند المواضع التي شرح فيها الشَّارح الأحاديث التالية:

- الحديث ١ ص٤٢.
- الحديث ٨ ص٦٦.
- الحديث ٥ ص٥٤.
- أول باب ٣٣ ص ٢٩٥.

٣-**حديث أم معبد** رضي الله عنها **في كتب السِّير والحديث**: وهو في الشَّطر الثَّاني من البيت (٤٠).

(١) الإحالة في هذا الكتاب إلى طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق أبي الفوارس أحمد بن فريد المزيدي، وحينما أشرت فوق بعض الأبيات من القصيدة إلى موضعها من كتاب أشرف الوسائل رمزت لها بحرف أ ثم أتبعت الرمز برقم الحديث بين قوسين، هكذا: أ (١) أي الحديث الأول من كتاب أشرف الوسائل.

المبحث السادس:

ما فات الشاعر من بعض الأوصاف النبوية الواردة في أحاديث الباب الأول من كتاب الشمائل ، وما أضافه مما ليس فيها

مما فاته في القصيدة بعض الأوصاف الواردة أذكرها حسب ترتيب أحاديث الباب:

- حديث (١): «ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء».
- حديث (٢): «إذا مشى يتكفّأ».
- حديث (٤): «له شعرٌ يضرب منكبيه».
- حديث (٥) و (٧) «ششن القدمين».
- حديث (٧): جليل المشاش والكتد، لم يكن بالمطهَّم ولا بالمكلثّم».
- حديث (٨): «كان فخماً مفخَّماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أزهر اللون، سوابغ من غير قرن – أي حواجبه– بينهما عِرق يدرُّه الغضب، أنور المتجرد، سائل الأطراف».
- حديث (٩): «منهوس العقب».
- حديث (١٤): «مليحاً».

ومما أضافه زيادة على ما في الباب:

- حديث (٣٧) وهو خارج الباب الأول: «لم يبلغ ذلك، إنَّما كان شيباً في صدغيه».
- حديث (١٢٣) وهو خارج الباب الأول : «إنَّا لنجهد أنفسنا وأنَّه لغير مكترث».
- حديث (٢٢٥) وهو خارج الباب الأول: «يفترُّ عن مثل حبِّ الغمام».
- حديث (٢٢٦) وهو خارج الباب الأول : «أكحل العينين وليس بأكحل».
- حديث (٣٤٥) وهو خارج الباب الأول: «ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عَرَق النَّبي ﷺ».
- حديث (٤١٠) وهو خارج الباب الأول : «ملأت لحيته ما بين هذه إلى هذه قد ملأت نحره».

- معنى حديث: «لم يكن يماشيه أحدٌ من الناس إلا طاله، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسب إلى الربعة» وهو عند البيهقي وابن عساكر نقلاً من «أشرف الوسائل».
- في تفسير حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه: قال الشارح الهيتمي رحمه الله في معنى «مفلج الأسنان»: أشنب، وشنبها: رونقها وماؤها، وذكر لها معاني أخرى، فاختار الشاعر أول المعاني وهو رونقها وماؤها.
- في تفسير حديث علي رضي الله عنه وهو الخامس، أورد الشارح لفظة: «عبل الذراعين أي ضخم الذراعين».
- معنى حديث: «يا عائشة أوما علمتِ أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء» رواه البيهقي وحكم بوضعه، أخذه من «أشرف الوسائل».
- ومن حديث أم معبد رضي الله عنها أخذ وصفَ صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ذو صحل، وليس في كتاب الشمائل.

المبحث السابع:

الإسناد المؤدي إلى هذه القصيدة

الحمد لله محيي القلبِ بالأمَلِ ... وساترِ العبدِ ذي العصيانِ والزَّلِلِ

ثمَّ الصَّلاةُ مع التسليمِ يتبعه ... على النَّبيِّ بلا عدّ ولاملَلِ

والآل والصَّحب ما جادت بوابلها ... سحابةٌ وبكى باكٍ على الطَّلَلِ

وبعد فالعبد يروي للقصيدةِ عن ... عن أشياخِهِ بطريق زان متَّصِلِ

القاضي محمد بن محمد الكبسي

أروي لها بقراءاتي مكرَّرةً ... على المشايخ كالكبسيِّ ذي النُّبُلِ

أحمد بن محمد زيارة (ت ١٤٢١هـ) الحسين بن علي العمري (ت ١٣٦١هـ)

عن أحمدٍ صاحبِ الفتيا وذاك عن الـ ... ـعَمريِّ عالِمِ أهلِ السَّهل والجبَلِ

إسماعيل بن محسن (ت ١٣٠١ هـ) محسن بن عبد الكريم (ت١٢٦٦هـ)

عن نجلِ ناظمِها عن الحسامِ أبيـ ... ـهِ مَن قصائدُهُ أحلى من العسَلِ

أحمد بن عبد الله العمري (ت ١٤٤٢هـ) الحسين بن علي العمري

(حاء) وعن شيخنا العمري أحمد إذ ... أُجيزَ مِن جدِّه بما مضى فصِلِ

وأسأل الله في ختم القصيدة أن ... نحظى برؤية (طه) أفضل الرُّسُلِ

وأن نعيش على أفياء سنّتِهِ ... فإنها الحوضُ في الدُّنيا لمنتهلِ

وأن ننال بدار الخلد صحبته ... ونكتسي في لقاه أجمل الحلَلِ

الفصل الأول:

في المعنى الإجمالي للقصيدة

بعد طولِ التَّأمُّل وكثرة التفكير عند مطالعة القصيدة أجدني مندفعاً بكل ثقةٍ إلى أن أجعلَ معانيَ القصيدةِ تدور حول ثمانية أقسامٍ رئيسةٍ، يمكنني أن اعتبرها مقدمةً وخاتمةً، وبينهما ستةُ أبوابٍ، وهي:

المقدِّمة: في النَّسيب، وفيها (١١) بيتاً.

البَابُ الأوَّل: في حسن التَّخلُّص، وفيه (٣) أبياتٍ.

البَابُ الثَّاني: في القصور عن مدحِ النَّبيّ ﷺ وفيه (٦) أبياتٍ.

البَابُ الثَّالث: في المدح الإجماليّ للنَّبيّ ﷺ وفيه (٣) أبياتٍ.

البَابُ الرَّابع: في المدح التَّفصيليّ، وهو مدح حلية النَّبيّ ﷺ وفيه (٣٣) بيتاً.

البَابُ الخامس: في ذكر النَّعلِ الشَّريفة، وفيه (٢) بيتان.

البَابُ السَّادس: في حديث الولد للوالد، وذكرى كعب بن زهير رضي الله عنه وذكر المقام المحمود، وفيه (١٠) أبياتٍ.

الخاتمة: في الصَّلاة والسَّلام على النَّبيّ ﷺ وفيها (٢) بيتان.

❁❁❁❁❁

أما **المقدِّمة**: فهي في النَّسيب، وعددُ أبياتها أحد عشر بيتاً، **تبدأُ من البيت الأوَّل**:

حَتَّامَ أضربُ في مَرْتٍ من الأملِ وأرتجي قُربَ مَن أهوى ولم أنَلِ

وتنتهي بالبيت الحادي عشر:

لك السَّلامةُ مِن وَجدي ومِن حَرَقي دعْ عنك لوميْ فإني عنك في شُغُلِ

في مطلع القصيدة يخاطب الشاعر نفسه، ويتوجع من ذهاب سعيه هباءً، حيث تتبخر آماله في مفازات قاحلة، ويضيع رجاؤه سدى، ذلك أن محبوبه لا يلتفت إليه، ولا ينيله من الوصال ما يرجوه لديه، فيتوجه إليه بالخطاب، راغباً في طلب العفو والاحتمال، مستمطراً من ديمة طوله، شارحاً له ما

يعرض لقلبه حين تذكره، ثم يتوجه إلى العاذل بكف نصحه، فإنه لا يعرف الشوق إلا من يكابده، وليس الخلي كالشجي[1].

❁❁❁❁❁

البَابُ الأوَّل: في حسن التَّخلُّص، وعددُ أبياته ثلاثة أبياتٍ، **يبدأُ من البيتِ الثَّاني عشر**:

يا بالغاً في بليغِ المدحِ طاقتَهُ لتبتغيْ كلَّ قولٍ غيرِ مبتَذَلِ

وينتهي بالبيتِ الرَّابع عشر:

لأنتَ أقصرُ باعاً أن تمدَّ يداً إلى مديحِ حبيبِ الواحدِ الأزَلِي

وهنا يبدو للمطالع حسن تخلص الشاعر إذ انتقل مما كان فيه أولاً إلى الدخول في موضوع قصيدته، فيخاطب الشاعر البليغ الذي يريد مدح المصطفى ﷺ بأنه مهما أوتي من بلاغة فإن الكلمات تتقاصر دون وصف حبيب الله الواحد وخليله ﷺ.

❁❁❁❁❁

البابُ الثَّاني: في القصور عن مدح النَّبيّ ﷺ وعددُ أبياته ستة أبياتٍ، **يبدأُ من البيتِ الخامس عشر**:

وكيف بالشعرِ تبغي مدحَ من نطقتْ بمدحِهِ سورُ القرآنِ عن كَمَلِ

وينتهي بالبيتِ العشرين:

لذاكَ عدتُّ إلى مدحٍ لحليتِهِ كمن ترفَّعَ من بحرٍ إلى جبَلِ

---

(١) قال الشاعر في شرحه لهذه القصيدة مبيناً سبب افتتاح قصيدته بالنسيب ما لفظه: "وقد تطلبت النكتة بهذه العادة – يعني عادة الشعراء في تقديم النسيب على المدح– فعثرت على نكتتين لا زيادة:

الأولى: تمرين الذهن على البحر والروي، وتنقيح الألفاظ، والغوص على دقائق المعاني، حتى لا يصل إلى المقصود إلا وقد ساعدته القريحة على المراد وسلس له منها القياد، الثانية: الاستئناس في الخطاب قبل لوج الباب، واللطف في التخلص إلى المرام بعد حصول الأنس بمن إليه يساق الكلام، فإن في هذه المسالك الغزلية من المعاني المستلذة في الطباع، والنكات التي ترتاح لها الأسماع، ما ينشط النفوس اللطيفة، وتهتز له أعطاف ذوي الأخلاق الشريفة، وقد سمع الرسول ﷺ ما في أبيات كعب بن زهير من النسيب من دون ملامة ولا تأنيب"اهـ.

يتسائل الشَّاعر قائلاً: كيف يتأتى للشِّعر أن يمدح من نزلت بمدحه سور القرآن الكريم؟! وهذا سؤالٌ يراد منه النفيُ! إذ لا يمكن ذلك ألبتة، ثم يخبر شاعرنا بأن عجزه عن مدح النبي ﷺ المدحَ اللائقَ به جعله يكتفي بمدح حِليته وصفته الخَلقية، حالُه حالُ من أعياه الخوض في البحر الواسع، فانتقل لصعود جبل وعرٍ! وانطلق بعدها في ذكر حلية نبينا محمد ﷺ.

❁❁❁❁❁

البَابُ الثَّالث: في المدح الإجمالي للنبي ﷺ وعددُ أبياته ثلاثة أبياتٍ، **يبدأُ من البيتِ الحادي والعشرين**:

لـمَّا حوى العدلَ في الأخلاقِ كان له ... من كل خَلْقٍ جميلٍ كلُّ معتدِلِ

وينتهي بالبيتِ الثَّالث والعشرين:

والجسمُ في عالمِ الأجسامِ متَّصفٌ ... بغايةٍ من بديعِ الحسنِ لم تُنَلِ

من هنا يبدأ الشاعر في مدح النبي ﷺ، ويترقى فيه من الإجمال إلى التَّفصيل، فيثني على اعتدالِ أخلاقه الظاهرة والباطنة، التي تقابل اعتدال خِلقتِهِ الشريفة، كما يخبرنا أن روحه الشَّريفة التي علت أعلى المقامات في حياته وبعد مماته، فكذلك جسمه الشريف بلغ الغاية من الحسن والجمال، بما يناسب روحه الشريفة.

وإذا استقرَّ هذا المعنى الإجمالي في قلب المحبِّ للنَّبيِّ ﷺ كان ذلك دافعاً له ليطلب معرفة تفاصيل هذا الجمال الذي تتطلَّع إليه قلوبُ المحبين، وتشتاقه أعين المشتاقين.

❁❁❁❁❁

البَابُ الرَّابع: في المدح التَّفصيليِّ، وهو مدح حلية النَّبيِّ ﷺ وعددُ أبياته ثلاثةٌ وثلاثون بيتاً، **يبدأُ من البيتِ الرَّابع والعشرين**:

فلم يكن بطويل القدِّ مُمَّعِطٍ ... ولا قصيرٍ من الأقوام لم يطُلِ

وينتهي بالبيت السَّادس والخمسين:

فبعضها يقتضي خمصانَ أخمصِهِ ... وبعضها المسحَ فاعرفْ حاصلَ الجُمَلِ

هنا مربط الفرس كما يقال، إذ لبُّ القصيدة وما أُلِّفت من أجله يبتدئ من هذا البيت وهو البيت الرَّابع والعشرون وإلى نهاية البيت السَّادس والخمسون، وتتجلى في هذا الموضع من القصيدة ما تمتع به الشَّاعر من إبداعٍ وفحولةٍ لا ينالها إلا قلةٌ من الشعراء، وفي بيان ذلك أقول:

سمى الشاعر قصيدته بـ (الهيكل اللطيف)، وهو البناء المشرف كما اخترنا سابقاً، فكأني بشاعرنا واقف على بنائه العالي يرمق بنظراته إلى الأفق البعيد فيلوح له خيال قادم، وحين يدنو إليه صاحب الخيال فإن أول ما يظهر للرائي هو طول الشخص أمامه، ولهذا بدأ بمدح طول النبي ﷺ فقال:

فلم يكن بطويل القدِّ مُمَّعِطٍ...إلخ (انظر البيتين ٢٤-٢٥).

ثم أخذ ينظر في مِشية القادم إليه فوصفها بقوله:

إذا مشى فكما ينحطُّ من صَبَبٍ ...إلخ (انظر البيتين ٢٦-٢٧).

وحين اقترب منه؛ كان أول ما رأى منه وجهه الشريف ﷺ فأخذ يصفه بقوله: وليس بالأبيضِ المملولِ ناصعُهُ...إلخ (انظر البيتين ٢٨-٢٩).

ثم بدا له شعره الشَّريف يضرب إلى أذنيه فقال واصفاً لهذا الجزء من الشعر من حيث طوله ورائحته:

تدنو إلى شحمةِ الأذْنين جُمَّتُهُ...إلخ (انظر البيت ٣٠).

وأتبع ذلك بصفة شعره ﷺ وكيفية ترجيله فقال:

بين الجعودةِ والتَّسبيطِ لا قَطَطٌ...إلخ (انظر البيتين ٣١-٣٢).

وبعد ذلك أخذ يتأمَّل في وجهه الشَّريف ﷺ، فبدأ بوصف الجبين ثم الحواجب وما يعلو جبينه من نورٍ (انظر البيت ٣٣)، ثم وصف الوجه وأنه مدور ووصف الخدين وما في العينين من كَحَلٍ خِلقةً (انظر البيت ٣٤)، ثم عاد لوصف أجفانه الشريفة وأتبعه بذكر هديه ﷺ في النَّظر (انظر البيت ٣٥).

وبعدما فرغ من ذكر تقاسيم الحسن في وجهه الشريف ﷺ طفق يمدح الوجه إجمالاً بثلاثة في ثلاثة، بالبَلج والفَلج والدَّعج في الوجه والثَّغر والطَّرف، وهذا لعمر الله غايةٌ في الإبداع (انظر البيت ٣٦).

ثم أخذ في وصف خلقه إجمالاً بقوله مقصَّد الخَلق، وأتبعه وصف أنفه الشريف ﷺ (انظر البيت ٣٧).

وتحدث بعدها عن هيبته ﷺ في عيون من يراه (انظر البيت ٣٨)، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدح ثغره الشريف ﷺ وما في كلامه من نورٍ، وما في صوته من جهارةٍ وصحلٍ (انظر البيتين ٣٩-٤٠).

وتأمل تدرُّج الشَّاعر في النُّزول من العينين إلى الأنف ثمَّ إلى الفم يظهر لك إبداع الشَّاعر وإحسانه أيما إحسانٍ رحمه الله.

ينتقل الشَّاعر بعدما مدح الوجه الشَّريف إجمالاً بقوله: مفخَّم الشَّكل، إلى وصف اللِّحية الشَّريفة وذكر ما فيها من شيبٍ (انظر البيتين ٤١-٤٢).

وتأمَّل نزولَه من الرَّأس إلى العنق! حيث يصف عنقه الشَّريف ﷺ (انظر البيت ٤٣)، ومن بعد مدح العنق ينتقل إلى مدح بدنه وتماسكه (انظر البيت ٤٤).

ثم يفصِّل المدح تفصيلاً لأعضائه كالذراعين والكفَّين ثم ينتقل إلى وصف الصدر والبطن وما عليهما وصفة منكبيه ﷺ (انظر الأبيات ٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩).

وحين يفرغ من مدح أعضائه الشَّريفة وما على ظاهرها من جمالٍ وجلالٍ، يتطرَّق إلى الذِّهن ما يخرج عن هذا الجسم الشَّريف من عوارض البشريَّة، فيأتي الشَّاعر ليصفَ طِيبَ عرقه ﷺ (انظر البيتين ٥٠-٥١)، ثم تعرض لمسألة متعلقة بالخارج من نبينا الكريم ﷺ (انظر البيت ٥٢).

بعد كلُّ تلك المحاسن الخلقيَّة الدَّالة على كمال حليتِهِ الشَّريفة ﷺ فلسائلٍ أن يسأل: وهل هناك ما يدلُّ على النُّبوَّةِ غير هذا؟ عندها يأتي خاتم النُّبوَّة الذي جعله الله عز وجل علامةً من علامات نبيّ آخر الزَّمان، فلذا ذكر خاتم النبوة ها هنا (انظر البيت ٥٣)، ولا يغيبنَّ عن بالك أن خاتم النبوة كان في ظهر النَّبيّ ﷺ بين كتفيه، فذكرُهُ في حِليةِ النبيّ ﷺ لذلك.

بعدها يعود شاعرنا لذكر مدح جمال نبينا ﷺ، إذ ينفي أن يكون أحدٌ رأى له مثيلاً! (انظر البيت ٥٤)، ثم يختم مدح حلية النبي ﷺ بذكر نعتِ قدمه الشريفة (انظر البيتين ٥٥-٥٦).

وما أصدق قول العلامة الحسن بن أحمد عاكش رحمه الله حين قال واصفاً إحدى قصائد شيخه الشاعر رحمه الله – وأنا أقولها في هذه القصيدة – :« تأمَّل رِقَّة هذا النِّظام، وما اشتمل عليه من الانسجام، ولولا خشية الإطالة لفتشت زهوره، وسلسلت نهوره، لا غروَ فشيخنا إمام البلاغة، وله من هذا النمط ما يعلق بالأرواح، ويسكن العُصم سهولَ البِطاح»[1].

❁❁❁❁❁

البَابُ الخامس: في ذكر النَّعلِ الشَّريفة، وعددُ أبياته بيتان، **يبدأُ من البيتِ السَّابع والخمسين**:

إليك يا صاحبَ النَّعلِ التي افتخرت بمشيَهِ الأرضُ بل تاهت على زُحَلِ

وينتهي بالبيت السَّادس والخمسين:

وقبَّلتها الملوكُ الصِّيدُ صاغرةً مسرورةً بالذي نالت من القُبَلِ

في البيتين إشارة إلى نعل النبيّ ﷺ، وقد قيل إن هذه القصيدة معارضة لقصيدة القاضي علي بن محمد العنسي[2] رحمه الله، حيث أنشأ قصيدةً لاميةً في نعل النَّبيّ ﷺ حين رأى في أحد الكتب صورةً لما هو مثالٌ لنعل النبيّ ﷺ، وهذا القول – بأنها معارضة لها– مجانب للصواب.

❁❁❁❁❁

البَابُ السَّادس: في حديث الولد للوالد، وذكرى كعب بن زهير رضي الله عنه وذكر المقام المحمود، وعددُ أبياته عشرة أبياتٍ، **يبدأُ من البيتِ التَّاسع والخمسين**:

هذا الحديثُ إليكم سِيقَ من وَلَدٍ له إليك انتسابٌ غيرُ منتحَلِ

وينتهي بالبيت الثامن والسِّتّين:

لك المقامُ الذي ما ناله أحدٌ من النبيئين فاشفعْ للأنامِ ولي

---

(١) "الديباج" (ص:٣٩٠).

(٢) نعته العلامة الشوكاني رحمه الله بالشاعر البليغ والقاضي المشهور، ومن أجلِّ من أخذ عنه السيد العلامة محمد بن إسماعيل ابن الأمير الصنعاني رحمه الله، انظر البدر الطال (٥١٥/٢)، ونفحات العنبر (١٠٤/٢) ونشر العرف (١٣٨/٢) والرَّوض الأغن (١٨٣/٢).

ختم بهذه الأبيات قصيدته، مستحضراً النَّبيَّ ﷺ أمامه، ومشبهاً حاله بحال كعب بن زهير رضي الله عنه ضي الله عنه حين جاء إلى النبي ﷺ، وفيها ما يحتاج إلى تفصيل القول فيه كطلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته، والتَّوسل بجاهه الشَّريف.

❁❁❁❁❁

الخاتمة: في الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ وعددُ أبياتها بيتان، **تبدأُ من البيتِ التَّاسع والسِّتِّين:**

صلَّى عليك الذي أعطاكَ نافلةً يومَ القيامةِ ما يرضيك من أملِ

وتنتهي بالبيت السَّبعين:

والآلِ والصَّحبِ مَن أبدى فضائلهمْ ما خط في الصُّحُفِ الأولى من المثلِ

وخير ما يختم به قصيدته هو الصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ، وبه ينتهي الفصل الأول.

❁❁❁❁❁

الفصل الثاني

الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف

١ حَتَّامَ أضربُ في مَرْتٍ من الأملِ ... وأرتجي قُربَ مَن أهوى ولم أنَلِ

٢ إنْ لم أكنْ أنا أهلاً للوصالِ فكنْ ... أنتَ الحريَّ بطَولٍ منك واستطِلِ

٣ أو[١] باعدتنيْ ذنوبيْ عن زيارتكمْ ... فانظرْ إليَّ بعينِ العَفوِ واحتمِلِ

٤ تأبى شمائلُ حسنٍ غيرِ مشترَكٍ ... أن تستهلَّ بهجرٍ غيرِ محتَمَلِ

٥ عطفاً على قلبِ صَبٍّ أنت ساكنُهُ ... عطفَ الغريبِ على أوطانِهِ الأُوَلِ

٦ ما هبَّت الرِّيحُ من تلقاءِ أرضِكُمُ ... إلا تنسَّمَ رَيَّا تلكمُ الكِلَلِ

٧ ولا ترنَّم فوقَ الأيكِ[٢] طائرُهُ ... إلا وحنَّ حنينَ الأيْنُقِ الذُّلُلِ

٨ ولا شَرى[٣] البرقُ في أكنافِ غاديةٍ ... إلا قَدَحتُ زنادَ الشوقِ كالشُّعُلِ

٩ وساجلت مقلتايَ السُّحبَ واكفةً ... بواكفٍ من دموعِ العينِ منهَمِلِ

١٠ يا آمري بسُلُوّي عن هواهُ لقدْ[٤] ... مَحَضْتَ نصحاً ولكن ما شَجٍ كخَلِي

١١ لك السَّلامةُ مِن وَجدي ومِن حُرَقي ... دعْ عنك لوميْ فإني عنك في شُغُلِ

١٢ يا بالغاً في بليغِ المدحِ طاقتَهُ ... لتبتغيْ كلَّ قولٍ غيرِ مبتَذَلِ[٥]

١٣ ارجعْ بخفَّيْ حُنينٍ بعد خيبته ... وقفْ فلستَ بوقَّافٍ على أمَلِ

١٤ لأنتَ أقصرُ باعاً أن[٦] تمدَّ يداً ... إلى مديحِ حبيبِ الواحدِ الأزَلي

١٥ وكيف بالشِّعرِ تبغي مدحَ من نطقتْ ... بمدحِهِ سُوَرُ التَّنزيلِ في الأزلِ

١٦ حقيقةُ اللفظِ لا تُدني حقيقتَهُ ... إلى العقولِ ولا تشفي من الغَلَلِ[٧]

---

(١) في (د): «و»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(ج) والشَّرح والحدائق والعقود.

(٢) في (أ): «الغصن»، والمثبت موافق لما في (ب) و(ج) و(د) والشَّرح والحدائق والعقود.

(٣) في (أ) و(ب) و(د) والحدائق والعقود: «سرى»، والمثبت موافق لما في (ج) والشَّرح، لأنَّ شريَ بالشين آخرها ياء، يقال: شَرِيَ البرقُ إذا لمع وتتابع لمعانه، وشرى لها وجه أيضاً.

(٤) في الحدائق والعقود: «فقد»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(د) (ج) والشَّرح.

(٥) ضبطت في (ب) بكسر الذَّال: «مبتذِل»، وكلاهما يصح.

(٦) في (أ): «إذ»، والمثبت من (ب) و(ج) و(د) والشَّرح والحدائق والعقود.

١٧ وفي المجازِ تماثيلٌ وقد حكمتْ عَلياؤه بتعالِيهِ عن المثَلِ

١٨ كم رامت المدحَ أفكارٌ مهذبةٌ تستنُّ مثل استنانِ الخيلِ في الطِّوَلِ

١٩ ينازع الأدبَ المرضيَّ باعثُها على المديحِ فلم تصبرْ ولم تنَلِ

٢٠ لذاكَ عدتُّ إلى مدحٍ لحليتِهِ[١] كمن ترقَّعَ من بحرٍ إلى جبَلِ

٢١ لمَّا حوى العدلَ في الأخلاقِ كان له من كل خَلْقٍ جميلٍ كلُّ معتدِلِ

٢٢ فالرُّوحُ في عالمِ الأرواحِ واصلةٌ إلى محلٍّ إليه الرُّوحُ لم يصلِ
ش (٢)

٢٣ والجسمُ في عالمِ الأجسامِ متَّصفٌ بغايةٍ من بديعِ الحسنِ لم تُنَلِ
ش (١) (٢) (٤) (٥) (٧) ش (١) (٢)

٢٤ (فلم يكن بطويل القدِّ مُمَّغِطٍ[٢] ولا قصيرٍ من الأقوام لم يطُلِ)
ش (٢) (٣) (٧) أ (٢)

٢٥ بل (كان حالَ انفرادٍ رَبعةً، فإذا ماشى الطِّوالَ فلا يعلوه مِن رجُلِ)
ش (٢) (٥) (٧) (٨)

٢٦ (إذا مشى فكما ينحطُّ من صَبَبٍ تقلُّعاً غيرَ مختالٍ ولا عجِلِ)
ح (١٢٣)

٢٧ (وكان يُجهدُ من ماشاه متَّبعاً لخطوه وهو يمشي الهَوَنَ في مَهَلِ)
ش(١)

٢٨ (وليس بالأبيضِ المملولِ ناصعُهُ كلا ولا الآدمِ المشتدِّ في المُقَلِ)
ش (٢) (٧) (١٢) (١٤)

٢٩ بل مُشرَبٌ فلهذا قيل: أبيضُ، بلْ قد قيل: أسمرُ)، مهما شئتَهُ فَقُلِ
ش (٣) (٨)

٣٠ (تدنو إلى شحمةَ الأذْنين جُمَّتُهُ) (ويعبقُ الطيبُ من فَيْنَاهَا[٣] الرَّجِلِ

---

(٧) ضبطت في (أ) و(ب) بضم الغين: «الغُلَل».

(١) في (ب) و(ج): «بحليته»، والمثبت من (أ) و(د) والشَّرح والحدائق.

(٢) في (ج): «ممعط» بالعين المهملة، والمثبت من (أ) و(ب) و(د) والشَّرح والحدائق.

(٣) في (ج): «فينانه»، وفي (ب) كتب الوجهان، والمثبت موافق لما في (أ) و(د) والشَّرح والحدائق.

ش (١) (٢) (٧)

٣١ بَينَ الجعودةِ والتَّسْبيطِ لا قَطَطٌ[١] ولا بسَبْطٍ[٢]) فلا تعدلْ ولا تَمِلِ

ش (٨)

٣٢ (تزينُ (هامتُهُ العظمى) بمنفرقٍ[٣] طوراً وآونةً أخرى بمنسدِلِ)

ش (٨)

٣٣ (صَلتُ الجبينِ) (أزجُّ الحاجبين)(لهُ نورٌ يلوح كبرقِ العارِضِ الهطِلِ)

ش (٧) (٨) (٣٥١) (٢٢٦) (٤١٠)

٣٤ (مدوَّرُ الوجهِ)(سهلُ الخدِّ)(متَّسِمٌ بالبِشرِ)(يطبقُ جفنيه على كَحَلِ)

ش (٧) (٨) (٩)

٣٥ (مشقَّقٌ)(أهدبُ الأجفانِ)(ناظرُهُ دانٍ إلى الأرضِ) محفوظٌ عن الزَّلَلِ

ش (٧) (٨) (١٥)

٣٦ (في وجهه بَلَجٌ)(في ثغره فَلَجٌ) (في طرفه دَعَجٌ) مغنٍ عن الكُحُلِ

ش (٨) (١٤)

٣٧ (مقصّدُ الخلقِ)(أقنى الأنفِ يحسبُهُ[٤] أشمَّ مَن ذاد[٥] عنه الطرفَ من خجَلِ)

ش (٧)

٣٨ (يهابه مَن رآه[٦] في بديهته ويصطفيه حبيباً كلُّ متَّصِلِ)

ش (٢٢٥) أ (٨)

٣٩ (يفترُّ عن مثلِ حبِّ المُزْنِ)(ذي شَنَبٍ يجولُ فيه شفاءُ السُّقمِ والعِلَلِ)

ش (٨) (٩) (١٥) حديث أم معبد

٤٠ (إذا تكلَّم لاح النُّورُ من فمه الضَّ لميعِ) وهو (جهيرُ الصَّوت ذو صَحَلِ)

ش (٨) (٤١٠)

٤١ (مفخَّمُ الشكلِ)(كثُّ اللحيةِ)(انتشرت في نحرِهِ ومشت في العارِضِ الرَّسِلِ)

---

(١) ضبطت في (ب) و(ج) بكسر الطاء: «لا قطِطٌ»، والمشهور فتح القاف والطَّاء كما في الشَّرح.

(٢) في (أ): «ولا بجعدٍ»، والمثبت من(ب) و(ج) و(د) والشَّرح والحدائق.

(٣) في الحدائق والعقود: «بمفترقٍ»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(ج) (د) والشَّرح.

(٤) في (ج) والحدائق والعقود : «تحسبه»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(د) والشَّرح.

(٥) في الحدائق والعقود: «أشم يدرأ عنه»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(ج) و(د) والشَّرح.

(٦) في (ج): «يراه»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(د) والشَّرح والحدائق.

ش (٣٧)

٤٢ (لم يبلغ الشَّيبُ فيها ما يغيِّرُهُ صبغٌ ولم يك في فَودٍ بمشتعِلِ)

ش (٨)

٤٣ (كأنما عُنْقُهُ الإبريقُ قدَّرَهُ من فضَّةٍ) خالقُ الإنسان من عَجَلِ

ش (٨) (٢)

٤٤ (تماسَكَ الجسمُ منه فهو مكتنِزٌ) (معدَّلٌ) غيرُ مسترَخٍ ولا رَهِلِ[١]

ش (٥) (٧) (٨) أ (٥)

٤٥ (ضخمُ الكراديسِ)(شثنُ الكفِّ واسعُهُ) (عَبْلُ الذِّراعين والعَضْدين) إن تَسَلِ

ش (٥) (٧) (٨)

٤٦ (ما بين لَبَّته العُظمى وسرَّتِهِ في الصدرِ مسربةٌ خُطَّت بلا عَمَلِ)

ش (٨)

٤٧ (وفي الذراعِ وأعلى منكبَيهِ وأعـ لى صدرِهِ نبتُ شعرٍ) غير منفصِلِ

ش (٨)

٤٨ (قد استوى صدْرُهُ والبطن ثمَّ خلتْ عن كلِّ شعرٍ سوى ما مرَّ) فانتقِلِ

ش (٣) (٨)

٤٩ وأنبأ (البُعدُ ما بين المناكبِ) عن (صدرٍ رحيبٍ) لحفظِ السرِّ محتمِلِ

ش (٣٤٥) أ (باب ٣٣)

٥٠ (إذا تحدَّرَ رشْحٌ من معاطفِهِ كالطَّلِّ ظلَّ على زَهرِ الرُّبا الخضِلِ

٥١ تضوَّعت نفحاتٌ منه عاطرةٌ وكان من أطيبِ الأطيابِ للتَّفِلِ)

أ (باب ٣٣)

٥٢ و(الطِّيبُ في فضلاتِ الجسمِ معجزةٌ[٢] لخرقِها[٣] عادةً في النَّاسِ لم تزَلِ)

ش (٧)

٥٣ (في ظهرِهِ خاتمٌ أنشاهُ خالقُهُ تأويلُهُ إنَّ هذا خاتمُ الرُّسُلِ)

ش (٣) (٥) (٧)

٥٤ (يقولُ رائيه لا والله ما نظرتْ عَيني له مثلاً) في الناس عن كَمَلِ

---

(١) هنا موضع البيت في الشَّرح والحدائق والعقود، لكنه جاء في (أ) و(ب) و(ج) و(د) بعد البيت (٤٨)، وفي الحدائق والعقود: «هزل».

(٢) أورد في أشرف الوسائل حديث عائشة رضي الله عنها عند البيهقي وغيره، والحديث قال بوضعه البيهقي رحمه الله.

(٣) كذا في (أ) و(ب) و(ج) و(د)، وفي الشَّرح والحدائق والعقود: «لخرقه».

٥٥ وقد تعارضت الأخبارُ في قَدَميْ خيرِ البريةِ من حافٍ ومنتعِلِ

ش (٨)

٥٦ (فبعضها يقتضي خمصانَ أخمصِهِ) (وبعضها المسحَ)فاعرفْ حاصلَ الجُمَلِ

٥٧ إليك يا صاحبَ النَّعلِ التي[١] افتخرت بمشيها الأرضُ بل تاهت على زُحَلِ

٥٨ وقبَّلتها الملوكُ الصِّيدُ صاغرةً مسرورةً بالذي نالت من القُبَلِ

٥٩ هذا الحديثُ إليكم سِيقَ من وَلَدٍ له إليك انتسابٌ غيرُ منتحَلِ

٦٠ يُنمى إليك[٢] فيستحيِي لنسبتِهِ إلى عُلاك فيُكسى حلَّةَ الخَجَلِ

٦١ لولا تذكُّرُ ما أُوتيتَ من خُلُقٍ ووصلِكَ الرَّحِمَ الآتِينَ كالأُوَلِ

٦٢ وأنَّك الرَّحمةُ العُظمى التي برزَتْ[٣] للعالمين فليْ مِن فيضِها[٤] أمَلِي

٦٣ قدَّمتُ بين يديْ نجوايَ تذكرةً بمثلها قد نجى «كعبٌ»[٥] من الخطَلِ

٦٤ إنَّ الملوكَ وإن عزَّت مناصبُهَا يُهدى لها من حقيرِ الشَّيء والجَلَلِ

٦٥ ظلمتُ نفسي كثيراً ثم جئتُ بها إليك هذا مقام الخائف الوَجِلِ[٦]

٦٦ عسى بجاهك أنْ أحظى بخاتمةٍ تمحى بها سيئاتُ القولِ والعمَلِ

٦٧ ووقفةٍ في فِناءِ البيتِ عاجلةٍ وزَورَةٍ لك تدنيني إلى الأجَلِ[٧]

---

(١) في الحدائق: «الذي»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(ج) و(د) والشَّرح والعقود.

(٢) في الشَّرح والحدائق والعقود: «إليكم»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(ج) و(د).

(٣) كذا في (أ) و(ب) و(ج) و(د)، وفي الشَّرح والحدائق: «ظهرت».

(٤) في (أ): «طَولها»، والمثبت من (ب) و(ج) و(د) والشَّرح والحدائق.

(٥) مراده أنه كتب قصيدته كما فعل كعب بن زهير رضي الله عنه حين وفد على النبي ﷺ معتذراً، وقدم بين يدي اعتذاره قصيدته الشهيرة «بانت سعاد»، فهو يقدم هذه القصيدة لجناب نبينا ﷺ معتذرا ومعترفاً بظلمه، متوسلاً الى الله بجاه نبينا ﷺ أن يوفقه لحسن الخاتمة والتيسير لحج البيت الحرام وزيارة النبي ﷺ والموت في المدينة، ثم يذكر أن لنبينا ﷺ المقام المحمود الذي ليس لأحدٍ من الخلق إلا هو ﷺ طالباً منه الشفاعة له وللخلق، وهنا يحسن التنبيه على أن لنبينا ﷺ وللخلق عند الله المنزلة والجاه العظيم الذي لا يدانيه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولكن ليس في النصوص الصحيحة الصريحة ما يدل على شرعية التوسل بالجاه، وأمَّا الشفاعة فإنّها تطلب من الله تعالى، كما قال تعالى :"قل لله الشفاعة جميعاً"،و الشفاعة العظمى هي التي تكون يوم القيامة لأهل الموقف، وتشمل الخلق كلهم مسلمهم وكافرهم، وهي لإظهار كرامة نبينا ﷺ على ربه جل وعلا، وهي المقام المحمود.

(٦) هنا موضع البيت في (أ) و(ب) و(ج) و(د)، لكن في الشَّرح والحدائق والعقود جاء قبل البيت (٦٣).

٦٨ لك المقامُ الذي ما ناله أحدٌ من النبيئين فاشفعْ للأنامِ ولي

٦٩ صلى عليك الذي يعطيك[١] نافلةً يـومَ القيامـةِ مـا يرضـيك مـن أمـلِ

٧٠ والآلِ والصَّحبِ مَن أبدى فضائلهمْ ما خُطَّ في الصُّحف الأولى من المثلِ

(٧) هذ البيتُ ساقطٌ من (أ) و(ب) و(د)، وهو مثبتٌ من (ج) والشَّرح والحدائق والعقود.

(١) في الحدائق: «أعطاك»، والمثبت موافق لما في (أ) و(ب) و(ج) و(د) والشَّرح والعقود.

الفصل الثالث

تعليقات مختصرة على مقدمة القصيدة من البيت (١) إلى البيت (٢٢)

استفتح الشاعر قصيدته بقوله:(**حتامَ**) وهي كلمةٌ مركبةٌ من «حتى» و «ما الاستفهامية» التي حذفت ألفها، وهي في محل جر مجرور بـ «حتى»، ومعناها إلى متى (**أضربُ**) من ضَرَبَ يَضرِب في الأرض إذا سار فيها، والمعنى: حتى متى أسيرُ (**في مَرْتٍ**) المرت -بفتح الميم وسكون الراء- هو المفازةُ بلا نباتٍ، أو الأرضُ لا يجفُّ ثراها ولا ينبتُ مرعاها، و(**مِن**) هنا يحتمل أن تكون «من» بيانية؛ فيكون المعنى أنه يضرب في أرض مقفرةٍ من (**الأملِ**)، ويحتمل أن تكون «من» سببية؛ فيكون المعنى أن الباعثَ له على الضرب في المرت - وهو المكان القفر- الأملُ، والأظهر عندي أن «من» سببية، حيث إن الأمل يحدو القلوب للعمل، ويبعث فيها الحياة لتسير في تحقيق مرادها، ولا تستقيم حياة بدون أمل، كما قال الطغرائي[١] في لاميته الشهيرة:

أعلل النفسَ بالآمالِ أرقبها ما أضيقَ العيش لولا فسحة الأملِ

فالأمل يحدو بصاحبه إلى الضرب في هذا المرت، لعله يصل إلى مبتغاه، وهو قرب من يهوى، وهذه حال المحبين الصادقين فإن بعدَهم عن الأحبة يزيدُهم تعلقًا بهم ورجاءً لقربهم، لما في قلوبهم من الأمل.

ثم يقول (**و**) حتامَ (**أرتجي قرب من أهوى ولم أنلِ**) وهذه التي لم يزل يتشكى منها المحبون في قديم الزمان وحديثه، فلا القرب يكفي ولا البعد يشفي، كما قال ابن الدمينة الخثعمي في داليته:

وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا دنا يملُّ وأنَّ النأيَ أشفى من الوجدِ
بكلٍّ تداوينا فلم يشفَ ما بنا على أنَّ قربَ الدار خيرٌ من البعدِ
على أنَّ قربَ الدار ليس بنافعٍ إذا كان من تهواه ليس بذي ودِ

---

(١) الطغرائي مؤيد الدين الحسين بن علي الأصبهاني (ت ٥١٥هـ) صاحب اللامية المشتهرة بلامية العجم، ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحلية الفضل زانتني لدى العطَلِ

ثم قال بعدها (**إنْ لم أكنْ أنا أهلاً**) مستوجبًا (**للوصالِ**) فينالني منك ما أرجو من القرب؛(**فكنْ أنتَ الحريَّ**)-بفتح الياء المشدَّدة- خبرُ (كنْ) منصوبٌ، أي طالما لستُ أهلاً: أي مستوجبًا - وتقال للواحد والجمع- للوصال ولا حرياً به؛ فكن أنت أهلاً للتفضُّل وحريًّا (**بطَولِ منك**) أي بفضلٍ منك، والطولُ الفضلُ، (**واستطِلِ**) فعل أمر من الاستطالة وهي التفضل عليه بما يأمله منه، فهو يقول له: لا تعاملني بما أنا أهله، بل عاملني بما أنت أهله، وهذه هي المنزلة الأعلى التي يأملها منه، فإن أبى محبوبه التفضل عليه بسبب ذنب وقع منه، فهنالك يلجأ الشاعر لطلب العفو فيقول: (**أو باعدتني ذنوبي**) ولم يقل ذنبي بصيغة الإفراد بل بصيغة الجمع إمعاناً في التذلل والاعتراف أي إن كانت ذنوبي هي المباعدةُ (**عن زيارتكم**) فها أنذا مقرٌّها لديك ومعترفٌ إليك (**فانظر إليَّ بعين العفو**) وهو عدمُ المؤاخذة بالذنب، (**واحتملِ**) فإن الاحتمالَ عادةُ الكرماء.

ولله ما أدق عبارات الشاعر ﷺ، إذ أشار إلى أمرٍ يغيب عن أكثر الناس، وهو إن الحرمان حاصلٌ بأحد هذين السببين، وهما عدم الأهلية «إن لم أكن أنا أهلاً للوصال»، والذنوب الموانع «أو باعدتني ذنوبي»، وتأمل قول الله عز وجل في عدم الأهلية حين قال: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ «الأنفال:٢٣»وقوله: ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ «الأنعام:٥٣» وتأمل قول الله . في الذنوب الموانع من الهداية والموقعة في الضلالة حين قال: ﴿**بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ «البقرة:٨٨» وقوله: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ «الأنعام: ١١٠» وقوله: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ « الأعراف:١٤٦» نسأل الله أن يُصرِّف قلوبنا على طاعته، وأن لا يَصرِفَها عن عبادته.

وبعدما انتهى الشاعر من وصف حاله وما يعانيه من الجهد في طلب محبوبه، وذكر المشاق التي يركبها، وما عليه محبوبه من تجافيه عنه ثم تذلله بين يديه وطلبه من محبوبه أن يعامله بما يليق بمقام

المحبوب لا المحب، فإن أبى فها هو مقر بجريرته ولا أجمل من العفو والاحتمال؛ بعدما انتهى من ذلك انتقل إلى مدح محبوبه بقوله: (**تأبى شمائلُ**) الشمائل جمع شِمال، وهي خليقةُ الرجل، وأضاف شمائل إلى (**حسنٍ**) قاصدًا مدح محبوبه بجميل صفاته وكريم خلائقه، ولم يكتفِ الشاعر بمدح محبوبه بحسن الشمائل، بل أضاف إلى مدحه مدحًا فزاد السناءَ سنىً حين وصف الحسن بأنه حسنٌ (**غير مشتركٍ**) وهذا غايةٌ في المدح، فإن الثناءَ بحُسنِ الشمائلِ حَسنٌ، وأحسنُ منه الثناءُ بالتفردِ بهذا الحسنِ، وفي مثل هذا قال ابنُ زيدون الأندلسي – ممتدحًا ولادة بنت المستكفي–:

إذا انفردتِ وما شوركتِ في صفةٍ فحسبنا الوصفُ إيضاحًا وتبيينا

وتأمل كيف يحسن في نظر مخلوقٍ التفردُ في الحسن والجمال وكريم الخلال، أفلا يحسن بنا – من باب أولى– أن نعظم جناب خالق الحسن والجمال فنفرده بصفات الجلال ونعوت الكمال، سبحانه وتعالى عن الشريك والمثيل، ﴿ **كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾«الشورى: ١١» .

والشاعر هنا ينفي عن شمائلِ محبوبه التي لا يشاركها في الحسن أحدٌ (**أن تستهِلَّ**) أي تُرى تشبيهًا لها بالهلال في حسنه وبهائه وعلوه، فلا يليق بهذه الشمائلِ أن تتبدَّى (**بهجرٍ**) للمحبِّ (**غيرِ محتَمَلِ**) وهي صفةٌ للهجر؛ إذ منه ما يمكن احتمالُه، ومنه ما لا يمكن احتمالُه، وربما كانت صفةً كاشفةً للهجر إذ كلُّ هجرٍ لا يُحتمل، ولعلَّ المعنى الأولَ أولى، وقد يشهد له ما جرى في حديث الثلاثة الذين خلفوا – وهم كعبُ بنُ مالكٍ ومرارةُ بنُ الربيعِ وهلالُ بنُ أميةَ رضي الله عنهم ، وكان من شأنهم أن أمر النبي ﷺ بهجرهم، قال كعب رضي الله عنه :" فأما صاحبايَ فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القومِ وأجلدَهم" رواه البخاري (٤٤١٨).

ولما فرغ الشاعر من الثناء على محبوبه أخذ يستعطفه قائلاً: (**عطفاً**) بالنصب، أي اعطف عطفاً (**على قلبِ صبٍّ**) يعني نفسه، والصبُّ هو المحب المشتاق، مشتق من الصبابة وهي رقة الشوق، وحينما ذكر صفةَ نفسه وأن به من الصبابة ما به؛ أخذ يصف قلبه فلم يجد إلا أن يقول عن قلبه (**أنت ساكنُهُ**) وهذا في غاية التلطف والاستعطاف للمحبوب، فكأنه يقول له إن هذا القلب المعذب

بك هو قلبٌ تسكنه أنت، فإن لم تكرمه لأجلي فأكرمه لأجل ساكنه، وإنما تُكرمُ المساكن بسكَّانها لا بجدرانها، وفي البيت المشهور:

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

وليكن عطفك عليه مشابهاً (**عطفَ الغريبِ**) وهو النازعُ من بلدٍ إلى بلدٍ، سمي بذلك لأنه بعد عن وطنه، واختار الشاعر أن يعطف عليه كما يعطف الرجل على الغريب لما هو حاصل في قلب الغريب من الاستكانة والحنين والشَّوق الدائم والعطف (**على أوطانه الأُوَلِ**) واختار نعت الأوطان بالأول، لأن حنين المحب وشوقه أبدًا لمنزله الأول، كما قال أبو تمام:

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزلِ

وقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما بأن رسول الله ﷺ قال لمكة:« ما أطيبك من بلدٍ وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيركِ» رواه الترمذي (٣٩٢٦).

ولما فرغ الشاعر من الاستعطاف؛ شرع يذكر شيئًا من حاله لمحبوبه وما يعتري قلبه من لواعج الفراق فقال: (**ما هبت الريحُ من تلقاءِ أرضِكُمُ**) هذا الشَّطر مقتبسٌ من بيتٍ شهيرٍ للشاعر الضرير بشار ابن برد في داليةٍ له، قال فيها:

ما هبت الريحُ من تلقاءِ أرضكُمُ إلا وجدتُ لها بردًا على الكبدِ

والاقتباس جائزٌ في الشعر، ويكثر في شعر المتأخرين – خاصةً العلماء – ولسنا بصدد الحديث عن ذلك، وربما كانت موافقةً تواردت فيها الخواطر، كما يقع الحافر على الحافر، وهذا أرجح عندي لفحولة شاعرنا وتمكنه رحمه الله.

نعود لقول الشاعر مخاطبًا محبوبه (**ما هبت الريحُ من تلقاءِ أرضِكُمُ إلا تنسَّمَ**) أي تنفَّس وتشمَّم (**رَيّا**) والرَّيَّا الريحُ الطيبةُ، المنبعثة من (**تلكمُ الكِلَلِ**) -بكسرِ الكافِ- جمعُ كِلة، وتطلق على أشياء؛ منها سترٌ رقيقٌ يخاط كالبيت، وصُوفةٌ حمراءُ في رأس الهودج، فعلى المعنى الأول فهو يتنسم ريَّا محبوبه النَّازل بمكانٍ بعيدٍ إشارةً إلى استقراره، وعلى المعنى الثاني فإنه يتنسم ريَّا محبوبه المحمول على الهودج إشارةً إلى ارتحاله عنه، وهو من شدة شعوره بقرب محبوبه – الذي انتقل واستقر بعيدًا أو رحل ولا

يزال في مسير ترحاله – يتنسم ريَّاه كلما هبت الريح من جهته، وهذا من المعاني اللطيفة التي لا يدركها إلا المحبون، فقديمًا قال أبو يوسفَ يعقوبُ عليه السلام ما أخبرنا الله ـ بقوله: ﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ** ﴾«يوسف: ٩٤» ، ومما يشبه هذا المعنى ما رواه البخاري في صحيحه (٢٨٠٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدرٍ، –وفيه– فاستقبله سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه فقال:« يا سعدُ بن معاذ! الجنةَ[1] وربِّ النضر إني أجد ريحها من دون أُحُدٍ» قال الحافظ ابن حجر[٨٥٢]رحمه الله في فتح الباري :«وقوله (واهًا) قاله إما تعجبًا وإما تشوقًا إليها، فكأنه لما ارتاح لها واشتاق إليها صارت له قوةُ من استنشقها حقيقةً»، وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول – بعد استشهاد أخيه زيد في حروب اليمامة–: «ما هبت الصبا إلا وأنا أجد ريح زيد!».

ثم ذكر من حاله أمرًا ثانيًا فقال: (**ولا ترنَّم**) من الترنم والترنيم وهو التطريب(**فوقَ الأيكِ**) وهو الشجرُ الملتفُّ الكثيرُ (**طائرُهُ**) وفي نسخةٍ (**صادحُهُ**) وهو الطائر الذي يرفع صوته بالغناء (**إلا وحنَّ حنينَ الأيْنُقِ الذُّلُلِ**) والأيْنُق جمع ناقة، والذلل أي المذلَّلة، فهو يحن إلى محبوبه كلما ترنم طائر فوق أيكته، كما تحنُّ الناقة إلى فصيلها.

ثم عقَّب بذكر أمرٍ ثالثٍ، فقال: (**ولا شرى البرقُ**) أيْ لَمَعَ (**في أكنافِ**) جمع كَنَف، وهو الناحية والجانب، والمعنى لم يلمع البرق في ناحيةِ (**غاديةٍ**) وهي السَّحابُ تنشأ غُدوةً (**إلا قدحتُ زنادَ الشوقِ**) بسببِ رؤيةِ لمعانِ البرقِ الذي يذكِّرُه بثنايا محبوبه، فتشتعل نيرانُ الأشواق في قلبه (**كالشُّعُلِ**) بضمِّ العَين –ككُتُب– جمعُ شُعلة (**وساجلت**) من المساجلة وهي المباراة والمفاخرة (**مقلتايَ**) تثنيةُ مقلةٍ وهي العين (**السُّحبَ**) وكانت المساجلةُ في سرعةِ انهمالِ الماء، فكانت مقلتُهُ هي الأسرعُ والأغزرُ إذ جادت (**واكفةً**) من وكف إذا قطر (**من دموعِ العينِ منهَمِلِ**) من انهمل أي فاض، والمعنى أن لمعان البرق في أكنافِ السَّحابِ أشعل نيران الشوق في قلبه فانهمل الدمع من عينه أسرع من انهمال المطر من السحاب وأغزر،وهذه الأحوال الثلاثة هي أصدق أحوال المحبين:

---

(١) قال الحافظ في الفتح:"بالنصب على تقدير عامل نصب أي أريد الجنة أو نحوه، أي ويجوز الرفع هي مطلوبي".

فالأولى: تنسُّمُ ريَّا المحبوب، ولا تكون إلا بعد امتلاء القلب من محبة محبوبه، كما قال العباس بن الأحنف:

هاجت لِيَ الرّيحُ منها نفحَ رائحةٍ أحيت عظامي وهاجت طولَ تَذكاري

والثانية: حنينه إليه عند سماع صوتٍ يذكره به، كما تحنُّ العشار إلى فصالها.

والثالثة: اشتعال نار الشوق في قلبه مع انسكاب الدموع، وفيهما قال أبو الطيب المتنبئ:

ما لاح برقٌ أو ترنم طائرٌ إلا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيّقُ

وتلك ثلاثٌ ما درى عنها إلا من ذاق طعم المحبة وابتلي بالحرمان!.

ولما كان أصحابُ هذه الأحوال عرضةً للوم اللائمين وتعنيف العُذَّال؛ قال الشاعر يخاطب عاذله بقوله: (**يا آمري بسُلُوّي عن هواه**) والسلوُّ هو النسيان، يأمره بأن يسلوَ عنه وينساه، وهي جادةٌ قديمة، قال إخوة يوسفَ لأبيهم: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ** ﴾« يوسف:٨٥» ، ثم يقول لآمرِهِ بالسلوّ: (**لقدْ محَضتَ**) – بتخفيف الحاء – يقال: محَض وأمحضَ، أي أخلصتَ (**نصحًا**) لي (**ولكن**) نصحك لن يجديَ شيئاً لاختلاف حالي عن حالك، فـ(**ما**) وهي النافية (**شَجٍ**)بتنوين العوض، والشجِي هو المشغول، وياؤه مخففة (**كخَلِي**) الخليُّ الفارغ، أيْ ليس الشجِي كالخلي، ولا يسهر الليلَ إلا من به ألم، قال أبو الطيب:

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

ثم بعد أن بينَ له سببَ عدمِ قَبولِ نصحِ العاذل قالَ له داعيًا: (**لك السلامةُ**) بتقديم الجار والمجرور وحقهما التأخير، ففيه تخصيص العاذل بالسلامة لعلمه أن المحب لا يكاد يسلَم، فدعا له بالسلامة (**من وَجدي**) وهو الحب الممزوج بالحزن (**ومن حَرَقي**) بفتح الحاء والراء أي نار القلب، ويجوز بضم الحاء (حُرَق) جمع حُرقة، فلا تتعب نفسك معي و(**دع عنك لوميْ فإني عنك في شُغُلِ**) وهكذا كل مشغولٌ لا يُشغلُ، فلا التفات للوم لائم ولا استماع لنصح عاذل، وإنما ينفع اللوم مع القلب الفارغ، أما المشغول فلا، وبعدما قدم الشاعر لقصيدته بهذا الاستهلال البارع والتقديم الرائع، ابتدأ يخاطب نفسه، وكأني به هنا وهو العازم على كتابة هذه القصيدة يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ويعيد الفكرة كرَّةً

بعد كرَّة، فيقول: (**يا بالغًا في بليغِ المدحِ**) وليس أيَّ مدحٍ بل البليغُ منه (**طاقتَهُ**) أي غايةَ ما في وُسعِه، لتطلب به و(**لتبتغي**) بإسكان الياء للضرورة الشعرية، وإلا فحقها الفتح (**كلَّ قولٍ غيرِ مبتَذَلِ**) تحتمل هنا بكسر الراء من (غيرِ) صفة لـ(قولٍ) وتكون (مبتذَل) بفتح الذال، أو بفتح الراء من (غيرَ) تعود على (بالغاً) وتكون (مبتذِل) بكسر الذال، ولعل كسر الراء أولى ليعود على القول لا القائل، وهنا إشارةٌ إلى أن بليغَ المدح – وبليغه لا يكون إلا بمطابقته لمقتضى حال الممدوح وفصاحة مفرداته وجمله – يوجبُ على المادح أن ينتقيَ الأقوالَ المصانةَ عن الابتذال، وكذلك يكون مديحُ علية القوم، أما المدحُ بلفظٍ مبتذلٍ أو وصفٍ محرمٍ كمفضٍ لغلوٍ أو مشعرٍ بما لا يليق؛ فلا يعد مدحاً بله أن يكون بليغاً.

فمن أمثال المدح بلفظ مبتذل: قول الكميت الأسدي يمدح النبي ﷺ :

إلى السراج المنير أحمد لا ... تعذلني رغبة ولا رهبُ

عنه إلى غيره ولو رفع الـ ... ـناس إليّ العيون وارتقبوا

وقيل أفرطتَ بل قصدتُ ولو ... عنفني القائلون أو ثلبوا

قال بعض الأدباء: « فمن رأى شاعرا مدح النبي ﷺ فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس، حتى يزعم أن أناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه؟! ولقد مدح النبي ﷺ، فما زاد على قوله:

وبورك قبرٌ أنت فيه وبوركت ... به وله أهلٌ بذلك يثربُ

لقد غيبوا برًّا وحزمًا ونائلاً ... عشية واراه الصفيح المنصّب

وهذا شعر يصلح في عامة الناس»[1].

ومن أمثلة المدح بما هو منهي عنه لما فيه من إطراءٍ: ما رواه البخاري (٥١٤٧) عن الرُّبيّع بنت معوذ ابن عفراء رضي الله عنها لما بُنِيَ بها، وجعلت الجواري يضربن بالدف ويندبن من قتل يوم بدر إذ قالت إحداهن: «وفينا نبي يعلم ما في غد» فقال النبي ﷺ:« دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين»، قال

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢/١٢٤.

الحافظ ابن حجر(٨٥٢هـ)رحمه الله: "قوله:«دعي هذه» أي اتركي ما يتعلق بمدحي الذي فيه الإطراء المنهي عنه، قوله:« وقولي بالذي كنت تقولين » فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو".

ومن أمثلة ما هو مشعرٌ بما لا يليق: ما جاء في قصيدة أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه حين أسلم وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ، فقال في قصيدته:

لعمرُك إني يومَ أحمل رايةً ... لتغلبَ خيلُ اللات خيل محمدِ

لكالمدلج الحيرانِ أظلمَ ليلَه ... فهذا أواني حين أهدى وأهتدي

هداني هادٍ غير نفسي ونالني ... من الله مَن طرَّدتُ كل مطردِ

فلما أنشده هذا البيت ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: « أنت طرَّدتني كل مطرد؟ ».

قلت: لئن كان هذا واقعاً والشعر رائجةٌ سوقُهُ، متوافرةٌ أربابه، فكيف في زماننا؟.

وبعد أن يرسم الشاعر الطريق للمادح يقول: (**ارجع**) أيها المادحُ (**بخفَّيْ حنينٍ بعد خيبته**) وهذه إشارة إلى المثل العربي « رجع بخفي حنين » ويضرب مثلاً في الخيبة، وقصته مشهورة وفي كتب الأمثال مذكورة، ومراد الشاعر بالرجوع بخفي حنين، هو الرجوع عما فكرت فيه من مدحه لممدوحه ببليغ المدح.

ثم أمر نفسه بقوله (**وقفْ**) فلا تجهد نفسك بابتغاءِ بليغِ المدحِ (**فلستَ بوقافٍ على أمَلِ**) أي لا أملَ لديك في بلوغ غايتك من المدح، والسبب في ذلك ما ذكره بعدُ فقال مؤكداً القولَ: (**لأنتَ**) بلام التوكيد (**أقصرُ باعاً أن تمدَّ يداً**) أي إنك أقصر من أن تطول بيد شعرك ما يبلغُ (**إلى مديحِ**) سيد الخلق محمد ﷺ خليلِ الله و(**حبيبِ الواحدِ الأزلي**) وهو الله جل وعلا(١).

---

(١) وفي هذا البيت فوائد منها:

أولاً: أن مدح نبينا ﷺ عليه من أشرف القربات وأفضل الطاعات، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾« الفتح: ٨ – ٩» ، وقد كان أصحابه رضي الله عنهم يمدحونه بحق، ولا ينطقون في مدحه إلا بصدقٍ، وحينما يحصل نوع من المخالفة يبين لهم النبي ﷺ ذلك، بل يرشدهم إلى الأكمل حين=

=يستدعي الأمر، كما قال لوفد بني عامر حين قدموا عليه ورواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ عن مطرّفٍ قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامرٍ إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال:« السيد الله عز وجل »، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طَولاً، فقال:«قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان ».

ثانياً: أن المرء مهما أوتي من فصاحةٍ وبلاغة، والشعر مهما اكتسى من الجزالة والحلاوة ما اكتسى فإنه لن يحيط بمدح سيد الأولين والآخرين ﷺ فهو أقصر باعًا وأضعفُ بيانًا، ولهذا لما جاء وفد بني تميم إلى النبي ﷺ ونادى مناديهم على الباب: يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زينٌ، وإن ذمنا شينٌ، قال لهم النبي ﷺ:«إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين»، ولهذا فإن أعظم مدحٍ له – على الحقيقة – ما مدحه الله به وأثنى عليه حيث قال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ «القلم: ٤» وأشرفُ وصفٍ له ﷺ هو الوصف الذي وصفه به ربه في أشرف مقاماته، فقال في مقام تنزيل الكتاب عليه:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا** ﴾ «الكهف:١» وقال: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ «الفرقان:١» وقال في مقام تحدي أعدائه الكافرين: ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ «البقرة: ٢٣» وقال في مقام الإسراء: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ «الإسراء: ١» وفي مقام المعراج: ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾ «النجم: ١٠» وفي مقام الدعوة إلى الله: ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً** ﴾ «الجن: ١٩».

ثالثاً: أن وصف النبي ﷺ بحبيب الله ورد في الحديث المروي عند الترمذي والدارمي وغيرهما بإسناد ضعيفٍ:« أنا حبيب الله »، والصحيح الثابت هو وصفه بخليل الله تعالى كما صح ذلك من حديث جندب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول:« إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » رواه مسلم، والخلة أرفع رتبةً من المحبة، ولم يجعلها الله لأحد من خلقه إلا للخليلين إبراهيم وابنه محمد عليهما السلام، وأما المحبة فهي ثابتة لآحاد المؤمنين، فالله يحب المتقين والمحسنين والصابرين والتوابين والمتطهرين، ويحب أولياءه الصالحين.

رابعاً: فيه وصف الله بالوحدانية فهو سبحانه الواحد الأحد، وقد دل الكتاب الكريم والسنة المشرفة على ثبوت هذا الاسم لله جل وعلا، كما دلت الفطرة والعقل على وحدانيته، وأما وصفه بالأزلي فمشتق من الأزل ومعناه القدم، وهو منحوت من (لم يزل)، وأزلي أصلها يزلي ثم أبدلت الياء ألفاً للخفة، كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزني، وعلى هذا فإن الأزلي ليس من أسماء الله الحسنى لعدم وروده في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وإنما يطلق من باب الإخبار به عن الله تعالى– وهو بابٌ واسعٌ – ويعنون به معنى اسم الله (الأول) حيث فسره أعلم الخلق بربه ﷺ بقوله:« اللهمَّ أنت الأولُ فليس قبلك شيء » رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ثم طفق الشاعر يتعجب نافياً بلوغ بليغ المدح في جناب أشرف الخلق أجمعين وخليل رب العالمين قائلاً: (**وكيف**) وهو استفهامٌ يراد به النفي (**بالشِّعرِ تبغي**) أيها المادحُ (**مَدحَ**) والمدح هو إحسان الثناء على الممدوح، والمديحُ والمِدحةُ ما يمدح به، وهو قريب المعنى من الحمد، لاشتراكهما في نفس الحروف غير أن الحمد يكون على الصفات الاختيارية أما المدح فلا، ولهذا تقول مدحت الأسد على شجاعته، ولا تقول: حمدته، ومدحُ نبينا ﷺ بما جبله الله عليه من صفات الكمال وجميل الخلال من أبواب القربات، وكيف لا يُمدحُ (**من نطقتْ بمدحِهِ سورُ التنزيل**) **أي القرآن**، والقول بأن القرآن نطق بكذا عبارة سلفيةٌ أثرية، نطق بها عبد الله بن المبارك ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما ومن المتأخرين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحم الله الجميع.

ومدحه والثناء عليه جاء أيضاً في الكتب المتقدمة كما روى البخاري في الأدب المفرد عن عطاء بن يسارٍ قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال:« أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً** ﴾ وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا».

وبهذا يكون القرآن –وما سبق من الكتب كالتوراة– قد نطق بمدح نبينا ﷺ.

وقوله (**في الأزلِ**) ليس في اختيارها إيطاءً، الذي هو تكرر القافية في قصيدة واحدة، وهو معيب في القوافي ما لم يكن معناهما مختلفاً، فإن قافية البيت الذي سبقه (الأزلي) وقافية هذا البيت (الأزل) وليسا بمعنى واحد.

ثم بين أنَّ (**حقيقة اللفظِ**) أياً كان اللفظ المستخدم في مديحه ﷺ فإنها (**لا تدني**) لا تقرّبُ (**حقيقتَهُ إلى العقولِ**) المتفكرة في صفاته البشرية الكاملة (**ولا تشفي**) القلوب المتعطشة لرؤيته (**من الغلَلِ**) هكذا بفتح الغين المعجمة واللام، وهو شدة العطش، وقصد الشاعر إن هذه العبارات إنما هي

تقريبٌ وتشبيه، والاستعارةُ هذه عند أهل البلاغة من أنواع المجاز، ولهذا قال (**وفي المجازِ**) وهو قسيم الحقيقة -إذ هو ما استعمل في غير ما وضع له لعلاقةٍ، مع قرينةٍ مانعة من إرادة المعنى الحقيقي- وفي هذا المجاز (**تماثيلٌ**) وهي جمع تَمثال بفتح التاء أي تمثيل، أو جمع تِمثال بكسر التاء وهو الصورة، ويظهر لي أن مراده الأول بفتح التاء لأن التمثيل داخل في الاستعارة وهي من أنواع المجاز، وإذا كانت الألفاظ بحقائقها ومجازاتها لا تروي غليلا ولا تشفي عليلا؛ فكيف (**وقد حكمتْ عَلياؤه**) ﷺ (**بتعاليه عن المثَلِ**)؟!.

ثم يبين أن هذا الجادة مطروقة من قبل بَيد أن سالكها لم يظفر بشيء سوى العجز فيقول: (**كم رامت المدحَ**) لنبينا ﷺ (**أفكارٌ مهذبةٌ**) وصف الأفكار بالمهذبة تنبيهاً لمريد المدح أن يهذب أفكاره قبل خروجها احترامًا وتوقيرًا للجناب النبوي الشريف، فكم من أفكارٍ مهذبةٍ رامت مديحه ﷺ وهي(**تستنُّ مثل استنانِ الخيلِ**) يشبه أفكاره المهذبة بالخيل التي تستن، واستنان الخيال هو عدوها لنشاطها ومرحها بلا راكبٍ (**في الطِّوَلِ**) والطِّوَل بكسر الطاء المهملة وفتح الواو - على وزن عِنَب - وهو الحبل الذي يشد به الدابة ويمسك طرفه ويرسل في المرعى، وهذا التشبيه مأخوذ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟» قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: «إن فرس المجاهد ليستن في طِوَلِه، فيكتب له حسنات» رواه البخاري (٢٧٨٥)، فشبَّه أفكاره المهذبة بهذه الخيل التي أعدت في سبيل الله، تعدو وتمرح في نشاط فلا يزال يكتب لصاحبها حسنات بهذا الاستنان، وكذلك صاحب هذه الأفكار المهذبة التي تستن في طولها رجاء أن تدرك ما يفي بمدح نبيها ﷺ لا تزال على رجاء الأجر من الله جل وعلا ثم قال: (**ينازع الأدبَ المرضيَّ باعثُها**) أي أن الباعثَ لتلك الأفكار المهذبة ينازع شريفَ الأدب المرضيَّ (**على المديحِ**) للنبي ﷺ (**فلم تصبرْ**) تلك الأفكار على المنازعة (**ولم تنَلِ**) ما كانت تأمله، وهذا حال كل من سعى لأمرٍ صعبٍ بلا تيسُّر الأسباب، فلا هو صابرٌ على مرارة الوصول، ولا هو نائلٌ حلاوة المأمول، عندها أدرك الشاعر مبينًا سببَ موضوع هذه القصيدة فقال: (**لذاك**) أي لتلك

الأسباب المذكورة آنفًا (**عدتُّ**) والعودُ أحمد (**إلى مدحٍ**) مني (**لحِليتِهِ**) الشريفة، والحِلية -بالكسر- الخِلْقَةُ والصورةُ والصِّفَةُ، وكنتُ في تلك الحال (**كـ**) حالِ (**من ترفَّعَ من بحرٍ إلى جبَلِ**) فاختار الاكتفاء بمدح خِلقتِهِ، ذلك أن مادحه ﷺ - بما حباه الله من الكمالات البشرية - كمن يخوض في بحرٍ لا ساحل له، والخائض في البحر لمن لا يحسن السباحة لا ينجو من الغرق، وأما المكتفي بمدح حليتِهِ وبديعِ خِلقتِهِ فهو كالمرتقي إلى جبلٍ رفيعٍ، والمرتقي إليه إن لم يبلغ ذراه كان على رجاء السلامة من السقوط، فاختار ارتقاء الجبل الأشم على خوض البحر الخضم، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

ولما كان الشعر في وصف حلية الجسم الشريف قدم لهذا الوصف على سبيل الإجمال ببيتٍ فردٍ جمع معنى كلِّ ما بعده، فهو واسطة العقد ودرة التاج، حيث قال: (**لمَّا حوى**) النبي ﷺ (**العدلَ**) يعني الاستقامة، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وقد خصَّ الله نبينا ﷺ بالاعتدال (**في الأخلاقِ**) جمع خُلُقٍ- بضم أو بضمتين -، ويطلق على السجية والطبع والدِّين، ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت:«كان خلقه القرآن» رواه مسلم (٧٤٦).

فلما كان نبينا ﷺ معتدلَ الأخلاق (**كان له من كل خَلْقٍ جميلٍ كلُّ معتدلِ**) وهذا تلازمٌ صحيحٌ، فإن الأخلاقَ الحسنة هي الصورة الباطنة، وجمالُ الصورة الباطنة يستلزم جمال الصورة الظاهرة وهي الخِلقة، فكان له من كلِّ خَلقٍ جميلٍ كلُّ معتدلٍ كما كان له من كلِّ خُلقٍ جميلٍ كلُّ معتدلٍ، مثلاً بمثلٍ، سواءً بسواءٍ، قال القاضي عياض رحمه الله في كتابه الشفا - عن حسن الخلق -:« وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها، دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله عليه بذلك».

ولما كان نبينا محمد ﷺ كسائر البشر مكوناً من روحٍ وجسدٍ، بدأ بمدح روحه الشريفة فقال: (**فالروحُ**) أي روحُ نبينا محمد ﷺ (**في عالمِ الأرواحِ**) وهو عالمٌ غيبيٌّ لا نعلم عنه إلا بقدر ما أخبرتنا عنه النصوص الشرعية، كما قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾«الإسراء: ٨٥» ، فروحُ نبينا ﷺ وهي أشرف الأرواح (**واصلةٌ إلى محلٍّ إليه الروحُ**) لعلَّ المرادَ جنس الأرواح التي خلقها الله، أو جبريل عليه السلام فهو أشرف الملائكة (**لم يصل**) إليه

أحدٌ قبله ولا بعده، وقد يصلح دليلاً على هذا ما جاء في حديث الإسراء والمعراج، فقد أخرج مسلم في صحيحه (١٦٢) أن رسول الله ﷺ قال:" ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال" قال النووي(٦٧٦هـ)رحمه الله في شرح مسلم: « قال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون وغيرهم: سُميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد الا رسول ﷺ» هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فقد روى الترمذي (٣٦١٢) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« سلوا الله لي الوسيلة » قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: «أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد أرجو أن أكون أنا هو».

وبعدما ذكر الشاعر مدح روح نبينا ﷺ إجمالاً، ابتدأ يمدح جسمه الشريف تفصيلاً، وإنما حسن الإجمال في وصف الروح بخلاف الجسم، لأن الجسم محسوسٌ به ومعلومٌ، بخلاف الروح التي لا نعلم عنها إلا القليل، فقال: (**والجسمُ في عالمِ الأجسامِ متَّصفٌ بغايةٍ من بديعِ الحسنِ لم تُنَل**) ثم طفق يسرد حلية النبي ﷺ مادحاً إياها، بما تحتاج معه أن تطالع في شروح كتاب الشمائل خاصة وكتب الحديث عامة، وما أكثرها، و « من أحيل على مليءٍ فليحتل ».

فهرس

بين يدي القصيدة..... ١

النسخ المعتمدة في التحقيق..... ٤

صور المخطوطات..... ٦

المقدمة..... ٢١

القسم الأول: التعريف بالشاعر..... ٢٢

نسبه ومولده..... ٢٢

نشأته وطلبه للعلم وذكربعض أسلافه..... ٢٢

سيرته العلمية..... ٢٤

مصنفاته..... ٢٦

أشعاره..... ٢٧

وفاته..... ٣٠

القسم الثاني: التعريف بالقصيدة..... ٣١

نسبة القصيدة إليه..... ٣٢

اسم القصيدة..... ٣٣

عدد أبياتها..... ٣٨

موضوعها..... ٣٨

مصادر الشاعر..... ٣٩

ما فات الشاعر..... ٤١

الإسناد المؤدي للقصيدة..... ٤٣

الفصل الأول: المعنى الإجمالي للقصيدة..... ٤٤

الفصل الثاني: قصيدة الهيكل اللطيف..... ٥١

الفصل الثالث: تعليقات مختصرة على مقدمة القصيدة..... ٥٧

الفهرس..... ٧٠